

قافلة الزيت

شعبان ١٣٩٣ - أغسطس / سبتمبر ١٩٧٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد الثامن المجلد الحادي والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزيع مجاني
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

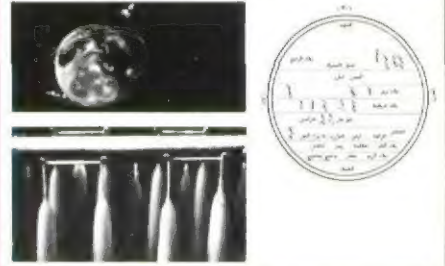
بحوث أدبية

- هل عرف أدبنا العربي الواقعية ؟ د. ثابت بداري ٢
فرع من التاريخ مهدد بالاندثار أبو الوفا مصطفى المراغي ٤
في الأفق الأخضر (قصيدة) طاهر زمخشري ٦
الشعر العربي واقتناش الشعراء في أساليبه الراحل محمود غنيم ٣٠
طبول (قصة) جاذبية صدقي ٣٢
تعقيان ٣٥
أخبار الكتب ٣٦
الاديب (قصيدة) الياس قنصل ٤٢



بحوث علمية

- العرب والكوزموغرافية د. نقولا زيادة ١٦
القرآن الكريم ورحلات الفضاء د. عبد المحسن صالح ٣٨
صناعة شموع الانارة سليمان نصرالله ٤٣



استطلاعات مصورة

- قصر العظم محمد أبو الفرج العش ٧
برنامج التدرج في أرامكو ابراهيم أحمد الشنطي ٢٣



التعليق على صورة الزيت



جانب من أعمال الصيانة التي يتدرب عليها
المتدربون ضمن برنامج التدرج في أرامكو ..
راجع المقال تصوير : برنت مودي

- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكُتاب أنفسهم، ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة، أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة، دون إذن مسبق على أن تذكر مصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها، وهي توشح بملصق النسخة الأصلية مطبوعة على آلة الحاسبة، ومنتهية.
- يتم تسويق المواضيع في كل عدد وفقاً لمقتضيات قيتة لا تتعلق بمكانة الكاتب وأهمية الموضوع.
- تنقيح المقالات على النحو الذي تظهر فيه بحريّة عادة وفق ظروف تقتضيها نهج « القافلة »

المدير العام: فبصل محمد البسام المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة
رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني أبو كشك

هل عرف أدبنا العربي القديم الواقعية

بقلم الدكتور نأب بداري

كغيرها من الكلمات التعميمية الضخمة سرعان ما تفقد معناها الحقيقي وتصبح مجرد «كليشه» مهترئة ، انها كلمة عديمة الشكل والتحديد وصلت واستعملت لتلائم ما تعده كل فترة من فتراتنا واقعا .

أسباب تعدد مفهوم الواقعية أيضا **من** علاقة المعنى الاشتقاقي للفظ « واقع » بالمعنى الاصطلاحي الاتجاهي ومدى ارتباط الاتجاه الواقعي بالواقع ، وهل هو نقل للواقع ، ولكن أي واقع هذا وقد رأيناه متغيرا متبدلا ؟ !

يضاف الى السببين السابقين سبب ثالث مهم ، وهو تطور مفهوم الواقعية من عصر الى آخر ، ومن قطر الى قطر ، فواقعية القرن التاسع عشر غير واقعية القرن العشرين ، وواقعية أوروبا غير واقعية روسيا ، وواقعية فرنسا تختلف عن واقعية إنجلترا بعض الاختلاف ، وان جمعت بين هذه الألوان جميعا سمات مشتركة نعرض لها في ثنايا موضوعنا ، الذي هو محاولة للتعرف الى ملامح الواقعية في أدبنا العربي القديم - ان وجدت فيه - كما أشار الدكتور طه حسين .

والواقع أنه اذا بحثنا عن الواقعية بمفهومها الغربي ، وكما ظهرت في أعمال « بلزاك » و « فلوير » و « ديكنز » و « هاردي » وغيرهم من الأدباء الفرنسيين والانجليز ، ونعني بها تصوير الواقع والحياة بما فيها من خير وشر ، وعنايتها بالتفاصيل والجزئيات ، وبعدها عن الخيال الطليق والأوهام ، فاننا سنجد لها مشابه كثيرة في أدبنا العربي القديم ، وقد يعلل هذا قول بعض النقاد الغربيين في أدبنا القديم أنه كان قليل الحظ من الخيال ، لأن أدباءنا من العرب القدماء كانوا يصورون احساساتهم ومشاعرهم بدون تزيد أو نقصان وبدون فلسفة أو اغراب ، وكان دستورهم في ذلك قول أحدهم :

وان أحسن بيت أنت قائله

بيت يقال اذا أنشدته صدقا ونظر في معاني الشعر الجاهلي فتقف على البساطة والوضوح ، يقدمها الشاعر منكشفة ، كأنها أشياء صلبة محسوسة ، أو كأنها حقائق تسرد سردا ، خالية من الخيال الا ليزيدها جلاء ووضوحا ، وعندما يعالج الفضائل يسوقها في مادة الانسان الحسية ، لا يتحول بها الى معنى ذهني عام يصور احساسه بالبشرية جميعا في هذه الفضيلة أو تلك ، وانما يقرنها بشخص معين يتحدث عنه ، ومرجع ذلك الى أنه لم يكن يفرض ارادته الفنية على الأحاسيس والأشياء ، بل كان يحاول نقلها الى لوحاته نقلا أميناً دون تعديل

الناقد « كلاي » أن : « أساس الواقعية أو الطبيعية هو أن يكون الفن ترجمة « اتوماتيكية » للانفعالات والانطباعات في علمية صافية وأصول وقواعد محددة » ويرى « باترسيلز » أن : « الواقعية في الأدب والفن محاولة لوصف الحياة بطريقة أمينة وموضوعية ويؤيد هذا الرأي الناقدان الأمريكيان « روبرت سيلر » و « هويلز » عندما يقولان : « ان الواقعية ليست سوى معالجة المادة معالجة صادقة » .

ومن النقاد من يذهب الى أن الواقعية قديمة قدم الزمن فهي عند « هاري بك » تمتد الى « يوربيدس » وفي أقطاب الرومانتيكية أنضهم ، وعنده أنه : « مهما يكن من شيء فالواقعية لم تكن من ابتكار أحد ، ولا من اكتشاف أحد ، فجزئومتها سابعة في الهواء . ان الديمقراطية في السياسة ، والمادية في الفلسفة ، والواقعية في الأدب كلها أشياء متصلة أوثق اتصال » .

وقريب من هذا قول الدكتور طه حسين : « الواقعية رجوع الى الأدب الصحيح كما عرفناه في حياة القدماء العرب وغير العرب ومن المحدثين الأوروبيين ، والانحراف عن الواقعية في الأدب العربي لم يأت الا في عصر متأخر حين أجذبت القلوب والعقول » . وواضح أن الدكتور طه حسين ومن رأى رأيته في قدم الواقعية لا يعنون من الاتجاه الواقعي سوى الصدق في تناول والبعد عن التكلف والتصنع . ولا شك في أن تعدد تعريفات الواقعية راجع قبل كل شيء الى غموض كلمة « واقع » واختلاف تفسيرها واختلاطها بالسياسة والفن وبعدها في الاستعمال الشائع اليوم عن الأصل الفلسفي الذي بنيت عليه . ويؤكد « ثرث بيرت » غموض كلمة الواقعية ، فيقول : « كلمة الواقعية

قبل أن نجيب عن هذا السؤال ينبغي علينا أن نعرف مفهوم الواقعية كما عرفتها الآداب الغربية وغير الغربية في العصر الحديث . وقد نظرت فيما كتب من محاولات لتعريف هذا الاتجاه فوجدتني أمام تعريفات شتى قد تصح كلها ، ولكنها لا تعطي مفهوما محددا للواقعية ، فيرى « كوربيه » مثلاً أن : « كنة الواقعية وأساسها هو انكار للخيال التصوري والوهم والباطل ، وان جوهر الواقعية هو أن يكون الفن ديمقراطيا وليس استقراطيا . والواقعي عند الناقد « جوزيف تشيرى » : « لا يتعامل مع الأوهام والسحب ، ولكنه يتعامل مع الحقائق والوقائع الحقيقية أو المحتمل وقوعها والمتعارف عليها بين الناس عامة ، والتي يمكن أن تسجلها العين في دقة وعناية » .

وقريب من ذلك قول « جوزيف دارزينتش » : « ان الواقعيين يعارضون الكتاب العاطفيين ويعنون بتصوير المجتمع العادي ، ويخلطون الجيد بالرديء ، ويميزون بين الموضوعات الوضيعة والموضوعات العصرية الحضارية ، ولهم اهتمام بوجود أناس نجد فيهم أنفسنا وذواتنا ، ونعتقد أنهم نماذج عادية للطبيعة البشرية » .

ويقصر الناقد الأمريكي « الدريش - AL-drich » الواقعية على : « الموضوعات المستمدة من الاحياء الوضيعة ، فالواقعية عنده « نفس فاسد يصعد من الأحياء الوضيعة » .

وفي الوقت الذي تركز فيه هذه التعريفات على مضمون الواقعية والموضوعات التي يتناولها الأدب الواقعي والتي هي مستقاة من البيئات الشعبية الفقيرة أو الأشياء الملموسة المثرية ، والبعد بها عن التصورات والأخيلة ، نجد تعريفات أخرى تعنى بطريقة تناول والمعالجة ، فمثلا يرى

ولذلك يعد الشعر الجاهلي وثيقة دقيقة للحياة الجاهلية . وهذه الزعة جعلت الشاعر الجاهلي لا يحلل خواطره ولا عواطفه ازاء ما يتحدث فيه ، فهو لا يعرف التغلغل في خفايا النفس البشرية ولا في أعماق الأشياء الحية ، ومن ثم انتزع خياله وتشبيهاته من عالمه المادي .

وتظهر الزعة الواقعية جلية واضحة في شعر الصعاليك ، اذ أنهم يتخذون الحياة بما فيها من خير وشر مادة لموضوعاتهم ، ويبعدون عن الامعان في الخيال امعانا يبعدهم عن عالم الواقع الى عالم الأوهام ، ويصدقون في النقل عن الحياة فلا نحس في شعرهم اختلاف بين الصورة الشعرية وأصلها في الحياة ، ومن مظاهر هذه الواقعية عندهم كذلك ، استكمال الصورة العامة بحيث نشعر أننا أمام صورة طبيعية منقولة من الواقع نقلا أميناً مستكملة عناصرها من الهيئة والمكان والزمان والحالة والفعل والنتيجة ، كما تحرص على التفاصيل والاهتمام بالجزئيات . وكذلك نحس في شعرهم الصراحة في التصوير وتسجيل الواقع كما هو ، مع دقة في التعبير وظهور الخبرة العملية في فهمهم ، وهو مظهر يجعلنا أمام انسان يعيش في الواقع العملي ، لا أمام شاعر يعيش في الخيال والأوهام .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أنه على الرغم من تعلق الشاعر الجاهلي بالواقع وتشبته بالحقيقة واتصافه بالاعتدال ، فإنه لم يبعد المثالية ، فالشاعر الجاهلي اذا نظر في الخلق أو الخلق لم يبعد تعلقه بالحقيقة وواقع الحياة بينه وبين اختيار الأجل والأكل . وقد طالب النقاد القدامى الشعراء ألا يصفوا الأشياء كما هي ، وإنما يصفونها بوصفها مثلاً أعلى ، وذهبوا يذيعون عبارتهم المشهورة « أبلغ الشعر أكذبه » ، وقد كانت هذه العبارة من أسباب تخلف شعرنا العربي وخلوه من المادة الحية .. مادة الواقع المحسوس بكل ما فيه . ولعل أروع ما في هذه المثالية هو ذلك الاحساس العميق بالتقارب بين مظاهر الجمال في الوجود احساساً كان يربط ربطاً وثيقاً بين الشيثين في ذهن الشاعر العربي ، بحيث اذا ذكر أحدهما ذكر معه الآخر .

كان بعض النقاد يرى أن الواقعية لا تعارض المثالية تعارضاً تاماً ، وأنه يمكن الجمع بينهما حتى تكون واقعية متطورة لا تكفي بنقل الواقع ، فأننا هنا ينبغي أن نقف على الفرق بين هذه الواقعية العربية والواقعية

الغربية ، فالأولى اكتفت بنقل الحقائق وتصوير الواقع تصويراً دقيقاً أميناً دون هدف محدد ، في حين أن الواقعية الغربية كانت تهدف من وراء نقل الواقع الى اتخاذه وسيلة لتفسير قوانين الحياة وطبائع الجنس البشري .

نظرنا الى الموقف المحدد من الحياة ، والذي يمكن أن يتخذه الشاعر لنفسه تجاه مجتمعه ، فأننا واجدون في شعر هؤلاء الصعاليك شعوراً حاداً بالفقر واحساساً مريراً بوقعه على نفوسهم وشكوى صارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم . ويوجه عام فإن الشاعر الجاهلي لم يحاول أن يسمو بمجتمعه ، بل الذي حدث هو أن المجتمع جذبه اليه وأذاب شخصيته فيه .

ونرى لزماً علينا قبل أن نترك الحديث عن الأدب الجاهلي ، تحليل هذه الزعة الواقعية في هذا الأدب ، ويمكن اجمال أسبابها في موقع الجزيرة العربية ووضعها الاقتصادي الذي فرض عليها الاتجار مع الأمم المختلفة ، واكتساب العرب معارف متنوعة ، ونمو ادراكهم العقلي تبعاً لذلك ، وفطنتهم الى الحقائق الموضوعية بعد انخداعهم في شطحات الخيال ، واهتمامهم بالواقع بعد ضلالهم في الأوهام . أضف الى ذلك الغارات الداخلية التي كانت تدور بين القبائل ، الأمر الذي جعلهم يعتمدون على أنفسهم وواقعهم .

ويشرق نور الاسلام فيبعث في النفوس حرارة الايمان ، ويلم شعث العرب ويوحد أهدافهم ، ويظهرهم من الكهانة والوثنية ، ويدعوهم الى الصدق وتجنب المبالغات والأوهام . وننظر في الأدب الاسلامي فاذا به تضامن كله ، التزم الأدباء المسلمون بمبادئ عقيدتهم كما التزم المشركون بمبادئ قريش قبل أن تسلم وتنشأ الفرق بعد وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وينحاز الأدباء الى هذا الفريق أو ذاك ، يلدود عن مبادئه ويفند حجج خصومه ، ولا يمنع هذا انحياز بعض الشعراء الى الفن الخالص ، ولكن ذلك كان سبباً في أن يدركهم الخمول على ما أتاح لهم من الجودة الرائعة .

وتتسع رقعة الدول العربية بعد الفتوحات ، وتتعش الحركة الاقتصادية والفكرية في الجزيرة العربية وتنشأ طبقة جديدة من التجار والمهنيين ورؤساء الحرف ، وتتسع بهم المدن اتساعاً كبيراً وتصبح لهم رغبات ومثل فكرية وأخلاقية خاصة ، ومن ثم يظهر أدب ينو بهذه المثل والميول .

الرغم من أن أدبنا الوسيط ، وبخاصة على الشعر ، قد عاش في ظل الحكام ، فأننا نجده يشارك في نواحي كثيرة من السياسة العامة ، فالمتنبى يصور في مديحه لسيف الدولة كفاح العرب للروم ، كما يصور في مديحه عامة تعامله على الأوضاع الاجتماعية ، وحتى « أبو العلاء » الذي اشتهر باعتزاله الناس ، نجده يصور حياتهم ويحمل حملة شعواء على الأحوال الاجتماعية والسياسية في عصره ، وان كان قد أخطأ في سكب اصلاحه بقوالب هذا الشعر الذي لزم فيه ما لا يلزم ، وعقد معانيه . وفي ذلك العصر العباسي ، عصر نزوح الحضارة والثقافة والأدب ، شغف بعض الأدباء بتبع أحوال الناس المعيشية وعاداتهم وأخلاقهم ، وقد ظهر ذلك في كتب الجاحظ ، بيد أنه كان يروي الأشياء على علاتها ، ويخلطها بفكاهاته ، وكذلك « يدبع الزمان الهمداني » في مقاماته التي لم تتعد التصوير المجرد متجنباً التصريح بالتحامل على بعض الأحوال الاجتماعية وكأنه مقتنع بعدم جدوى محاولة الاصلاح .

وبما سبق يمكن القول بأن الأدب العربي القديم في جملته قد صور الحياة العربية وشارك فيها ، ولكنه لم يرتفع الى تصوير المتناقضات ، الموجودة في هذا المجتمع العربي ، بحيث يتمكن من خلال هذا التصوير من قيادة الأحداث ودفع عجلة الحياة والوصول بها الى ما هو خير للعرب والانسانية جمعاء .

واذا أردنا تحليل هذا النقص ورده الى أسبابه فأننا واقفون لا محالة على سبب أصيل ، وهو تزمّت النقاد وزعتهم التقليدية التي جرّتهم الى المحاكاة والاتباع ، وعدم فطنتهم الى العلاقة الوثيقة بين الأدب والحياة والمجتمع ، الأمر الذي جعل أدبنا العربي القديم يدور في حلقة مفرغة من الأغراض والمعاني والصور والأخيلة . وبغض النظر عن فترة الضعف الأدبي التي مر بها أدبنا في عصر التسلط الأعجمي على الدولة العربية ، نقول أن الأدب العربي قد غلب عليه النزوع الى الواقع ، ولكن هذا النزوع لا يمثل اتجاهاً أدبياً ، لافتقاره الى فلسفة عامة تتصل بالسياسة والاجتماع والفكر وحالة الجمهور القارئ النفسية ، وما هو الا نزوع تلقائي أمّلته بعض الظروف الاجتماعية ينقصه الاحساس العميق بقيمة الانسان وتحقيق قضاياه العامة والأخذ بيده الى حياة أفضل وأمثل ، وهو ما ينهض عليه الاتجاه الواقعي بالمفهوم العصري ■ د. ثابت بداري - الرياض

فرع من التاريخ مهدد بالاندثار

بقلم الاستاذ أبو الوفا مصطفى المراغى

لخصها ابن هشام ، ومغازي الواقدي ، وطبقات ابن سعد التي ضمنها سيرة النبي ومغازية ، وطبقات الصحابة والتابعين وتابعيهم من مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والكوفة والبصرة وبغداد والشام ومصر ، من أسبق كتب التاريخ العربي الاسلامي ، ولقد كان منهج التأليف في التاريخ يتسم أولاً بالعموم والشمول الزماني والمكاني ، أعني ان المؤلف كان يجمع في كتابه ما تيسر له من الأفكار التاريخية في كل زمان ومكان لا يخصصه بفترة زمنية ولا بمنطقة جغرافية ، ويمثل هذا المنهج الطبري ، وأبو حنيفة الدينوري ، والمسعودي ، واليعقوبي . ومما يقول الطبري في مقدمة كتابه الآثار الباقية : « انا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من ابتداء ربنا جل جلاله خلق خلقه الى حال فنائهم من انتهى الينا خبره . . وما الذي كان قبل خلق الله اياهم وما هو كائن بعد فنائهم وانقضائهم . »

وهذا النوع من التأليف تعوزه الدقة والموضوعية ، ولعل عند المؤلفين في ذلك أنهم كانوا لا يرجعون الى أصول مكتوبة محققة بل كانوا

لعل من أشد الأمم عناية بتاريخهم هم العرب ، فلقد عنوا بتاريخهم في شتى جوانبه ، عنوا بتاريخ ملوكهم وروسانهم وحكمائهم واطباهم ومعاركهم وابطالهم ومنازلهم وديارهم وحتى بمشاهير خيلهم وابلهم ، عنوا بذلك كله وحفظوه في صدورهم وتناقلته اجيالهم خلفاً عن سلف حتى تهيأت لهم فرصة تسجيله وكتابته ، فأخذوا يسجلونه من أذهانهم في اسفارهم ، وتجمع لهم من كتب التاريخ ثروة تاريخية ندر ان تجتمع لغيرهم . ولعل مما استثار عزائم العرب للعناية بتاريخهم وبعثهم على المبادرة الى تسجيله وتدوينه حين أتاحت لهم الفرصة ، ارتباطه في بعض جوانبه بالدين ، فمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرته وغزواته ، وسيرة اصحابه ، وهي من أوائل ما حظي بالتدوين ، دين من حيثما تفرضه على المسلمين من واجب الأسوة والقُدوة ، وهي تاريخ من حيث انها سرد وتسجيل لتلك الأخبار والحوادث . ولهذا كانت كتب السيرة النبوية وكتب طبقات الصحابة أسبق كتب التاريخ العربي تأليفاً وتدويناً ، فسيرة ابن اسحق التي

يعتمدون على الذاكرة والمشاهدة . لهذا نرى كتب التاريخ لذلك العهد زاخرة بالأساطير خصوصاً ما يتعلق منها ببدء الخلق وخلق آدم وحواء على وجه أخص .

وقد أخذ التأليف التاريخي في ظلال الأزدهار العلمي للدولة الإسلامية بحظ من التطور الذي شمل العلوم الإسلامية كلها فنحا نحو الموضوعية والتخصص ، وأخذ كل مؤلف يعالج موضوعاً خاصاً من موضوعات التاريخ ، فألفت الكتب في تاريخ الحروب والفتوح ، وفي تاريخ طوائف العلماء وفي تاريخ بعض البلدان والأمكنة . وحفلت المكتبة العربية بمؤلفات خاصة بطبقات المفسرين والفقهاء والأدباء والحكماء والأطباء واللغويين والنحويين وغير ذلك من الطوائف ، وكان في هذا المنهج من التأليف شيء من التيسير على العلماء والدارسين . ففي تحديد الموضوع اختصار في طريق الكشف والمراجعة وتوفير في الوقت والجهد . ومن هذه المؤلفات الموضوعية المؤلفات الخاصة بعلماء وأعيان كل قرن ، ومنها نوع خاص امتاز بالعناية بجانب هام من جوانب الترجمة وهو جانب تكوين الشخصية العلمية للمترجم له ، أعني جانب الاستفادة والإفادة ، الاستفادة من الشيوخ الذين تلقى عنهم وفادة التلاميذ الذين تلقوا عنه . وأهمية هذا الجانب أنها تكشف الى حد ما عن مكان المترجم له وتنوع ثقافته وتوثيق أفكاره ، ولعل هذا الأسلوب مما انفرد به التأليف العربي في فن التاريخ . وأغلب الظن ان المؤلفين في التاريخ على هذا النحو قد تأثروا فيه خطوات المؤلفين في رجال الحديث . فلقد كان حتماً على المؤلفين في تاريخ الرجال أن يذكروا شيوخ المترجم له وتلاميذه لتعرف درجة روايته ومكانه من العدالة وال ضبط والصدق والتوثيق . وفي فن تاريخ التأليف نماذج لهذا المنهج ، أعني منهج التأليف على حسب القرون ، فمنذ القرن السادس الهجري نجد لعلماء وأعيان كل قرن مؤلفاً خاصاً به يعم أحياناً ، فيشمل علماء وأعيان الأقطار العربية ، ويخص أحياناً فيقتصر على منطقة او قطر معين . ومما عرف من ذلك وتداوله العلماء المؤلفات التالية :

« الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » للعلامة ابن حجر و « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع عشر » للسخاوي و « الكواكب السائرة بمنابح أعيان المائة العاشرة » للغزي ، و « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » للمجبي و « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » للمراي . وقبل هذه الكتب نجد : « وفیات الأعيان » لأبن خلكان ، و « فوات الوفيات » لأبن شاكر ، وهما يترجمان لأعيان وعلماء ما قبل القرن الثامن عامة . هذه السلسلة من كتب التاريخ مرتبة على حسب القرون ، قد ملأت فراغاً في المكتبة التاريخية ويسرت على الباحثين وسائل الدرس وكففتهم معاناة المراجعة في الأسفار التاريخية العامة ، وكان من أنفعها وإيسرها ما رتب تراجمه ترتيباً أبجدياً . وقد انقطعت سلسلة هذا المنهج بعد القرن الثاني عشر ، مع الأسف ، وشعر الباحثون بالفراغ التاريخي في تراجم علماء وأعيان القرنين الثالث عشر والرابع عشر مجتمعين في كتابين حتى أن أحدهم اذا اقتضاه بحثه العلمي التعرف الى واحد من هؤلاء عانى من ذلك وتوزعت المسالك الى الرجوع الى الصحف والمجلات المعاجم وكتب التاريخ العامة ، وقد لا يظفر بعد المعاناة بما أراد ، على حين أنه اذا أراد التعرف الى ترجمة لأحد رجال القرون السابقة عليها لم يجد في ذلك عناء ولا مشقة .

وقد كان لبعض العلماء محاولات لسد هذا الفراغ ، أعرف منهم العلامة المرحوم أحمد تيمور ، والبحاث زكي مجاهد ، ولكن تلك المحاولات كانت ضئيلة لا تغطي ظمناً المؤرخين ولا تسد حاجة الباحثين . فللعلامة أحمد تيمور رسالة في بعض رجال القرن الثالث عشر والرابع عشر لا تكاد تبلغ تراجمها عشرين ترجمة ، وللبحاث زكي مجاهد أربعة أجزاء صغيرة أصدرها على فترات ، حسب امكاناته ولا يزال لها بقية لم تطبع بعد فيما أعلم . وليس من قصدي أن أقيم هذين العاملين تقييماً علمياً ، وحسبنا أن يضعها الزمن في ميزانه ، وانه ميزان دقيق .

واذا صح لنا أن نعد ما تصدره الهيئات والجامعات من نشرات وتقاويم بعضاً من هذه

المحاولات فانا نذكر هنا ما قام به مجمع اللغة العربية بمصر ، فقد أصدر كتاباً خاصاً بتراجم أعضائه ، وامتاز منهج هذا الكتاب بالتركيز والاحاطة كما امتاز بالصدق والتوثيق ، فمصادره التاريخية هم أصحاب التراجم أنفسهم ، وأنه ليعد في نظرنا انموذجاً للتراجم العلمية التي ننشدها وندعو اليها لعلماء القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، ونعد منها كذلك تقويم الجامعة الأزهرية الذي أظهرته منذ سنوات .

ال المكتبة العربية تواجه فراغاً تاريخياً في تراجم الرجال يزداد احساسنا به سنة بعد أخرى ، وذلك تفریط سنلقي علينا الأجيال المقبلة مسئوليتيه حين يحسون بالخواء التاريخي في هذا الجانب من التاريخ ، والمسئولية الكبرى في ذلك تقع على عاتق المؤرخين في الأقطار العربية المختلفة .

واذا كان لي أن أقترح شيئاً نعالج به الفراغ التاريخي في تراجم الأعيان والعلماء في القرنين الثالث عشر والرابع عشر منفصلاً كل منهما عن الآخر ، فاني أقترح تأليف هيئة من رجال التاريخ في كل قطر عربي تقوم بوضع مؤلف خاص في أعيان وعلماء ذلك القطر في القرنين المذكورين ، وتقوم بنشره على الصورة التي تراها ، ثم تقوم هيئة عامة من جميع الأقطار بجمع هذه المؤلفات وترتيبها هجائياً ونشرها على صورة موسوعة تاريخية لجميع علماء الأقطار الإسلامية على أن يراعى في وضع هذه المؤلفات تكوين الشخصية العلمية للمترجم له ، على نحو ما أشرنا اليه ، وانا لنحیی بهذا العمل تقليداً علمياً امتاز به المؤلفون العرب وكان له من الفوائد ما ذكرنا .

وقد يكون مما يعين هؤلاء العلماء على اداء مهمتهم التاريخية أن يستعينوا بمحاولات من سبقوهم من الأفراد والجماعات . واذا أمكن تقصيصها وحصرها وأحسن استغلالها ، أسهمت بنصيب كبير في انجاز هذه المهمة وقادت القائمين بها في طريق معبدة تقرب بها الغاية ويتم القصد

أبو الوفا مصطفى المراغي - القاهرة

في اللؤلؤة للدهخندري

للشاعر طاهر زمخشري

لم يلد ياربِيعُ فجر هنائي
أُتلى بها ، وأستشعرُ الفرحَ صَدَاحَةً بِيومِ اللقاء
قد عبرت الأماد في ظلمةِ التيه ، على نورِ سمةِ الزهراء
وهي شدوٌ بِمَنَمَي ورؤاها
تحمِلُ الزفرةُ العميقةُ أنفاسي ، وتجتازُ دارةَ الجـوزاء
فوقَ طيرِ جناحه يلفظُ النَّارَ ، ويرنو بنظرةٍ استغلاء
يقطعُ الجوّان تهادى ، فلا تدركُ ، منراه أغلينُ الرقباء
فهو إن رفاً يَسْبِقُ البرقَ ومضاً
وفي انطلاقٍ يسابقُ الريحَ إن أسرى ، ولا يرتضي بغيرِ العلاء
موطئاً للخطى ، ودرباً لمنراه إلّها . . في الواحةِ الخضراء
حيث خلقت خافقي منذُ عامٍ
السنا راقص الأهلّة فيها
وتناغيه بالباشّةِ أهدابُ ، وإن المزمارَ عذبُ الاداء
وهو عينٌ بها المفاتينُ تغفو
وهي في السندسِ المغلفِ بالترجيس ، يرمي بنظرةٍ نجلاء
بجفونٍ تصيد بالإنغراء
كلّما كُتِرَت أصابت وزادت
أسرتني ، ولا أريدُ فكاكاً

حوّل العام حيرتي لارتقاب
بحنين يذوبُ في رقةِ الأنفاسِ تندي بذكرياتِ المساء
وعلى رفوفٍ من الأملِ المنشودِ يسري إلى ارتشافِ الهناء
بفتونٍ تناقلته النعايرُ ، بهمسٍ يطيرُ بالأهواء

وعلى لاهبٍ من الشوقِ يطفو
فإذا أن أرسل الروحَ شدوا
والروى حوله تباركُ منراه ، وتقفو خطاه في الإنشاء
تترامى به المسالكُ والأبعادُ ،
حيث تشلوله المسرةُ أنفاحاً ،
خافق ضاقَ بالهوى الكواء
وإذا حين طافَ بالأجواء
في دربه لأحلى لقاء
وقشارها جزيلُ العطاء

طاهر زمخشري - جدة



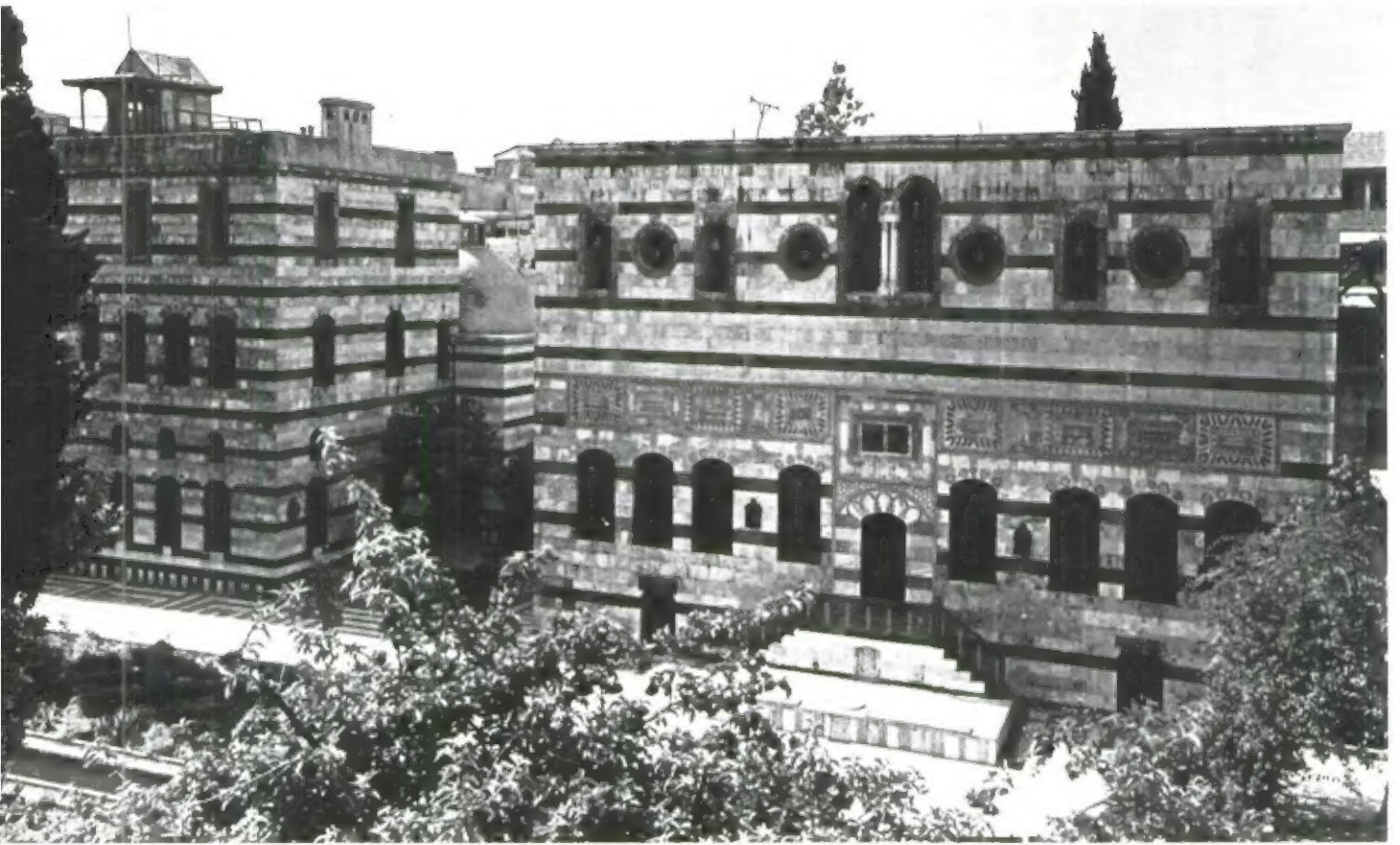
قصر العظم

بدمشق

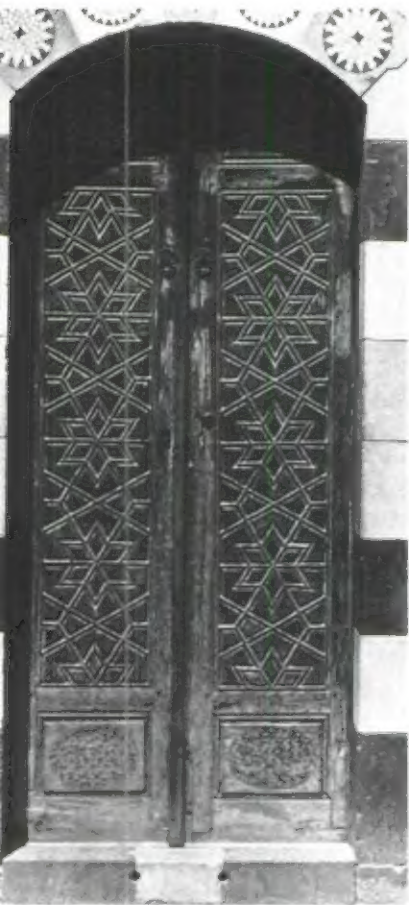
بقلم الأستاذ محمد أبو الفرج العس

منظر عام للحديقة الغناء التابعة لقسم « الحرم لك » في قصر العظم .





منظر عام للواجهات الجنوبية من قسم « الحرمك » حيث تبدو القاعة الرئيسية .



باب قاعة الصناعات اليدوية النحاسية التابعة لقاعة



الايوان في القسم الجنوبي من قسم « الحرمك » .. وقد ازدانت واجهته بالرسوم والنقوش ..

هل بقي هذا الجزء وجدد ورمم عند بناء قصر العظم ، أم أنه نقض في أوائل العهد العثماني وأنشئ قصر صغير بقي جناح منه عند بناء القصر . ويقع هذا الجناح القديم في الزاوية الجنوبية الشرقية ، وهو حتما أقدم من القصر الجديد الذي بناه أسعد العظم ، ويبدو الفاصل بينه وبين الانشاء الجديد الملاصق سنة ١١٦٣هـ .

حسيني قصر العظم وقيمته الفنية
تتميز أحياء دمشق القديمة بأسواقها المسقوفة وحاراتها وأزقتها الضيقة ، وأن مظهر الدور الأثرية (٢) من الخارج بسيط جدا ، فإذا دخلها الزائر ولج أولا دهليزا مظلما يؤدي بعد تعرج وانقباض الى باحة سماوية مشرقة ، تزهو بأشجارها وزرائعها وزهورها وتحف بها من جميع الجوانب واجهات القاعات والايوان والرواق التي تنم عن الابهة والرواء .
ويكاد يكون هذا الأسلوب في تخطيط البناء عاما ، وكأنه يركز على دراسة نفسية توحى

لزائر الدار في بادئ الأمر بالوحشة ، ثم لا يلبث أن يتفرج أمامه منظر يأخذ بمجامع القلوب ، فيمتلئ انتعاشا وانشراحا .
وقصر العظم أحد هذه الدور ، لكن مظهره الخارجي ليس متواضعا ، بل له بوابة فخمة ، ضمنها باب صغير يطلق عليه (باب خوخة) .

مخطط القصر

يشتمل مخطط القصر على الأقسام التالية :
• دهليز طويل : منكسر تتبعه غرفتان للحرس ، وهو يؤدي الى جناحين كبيرين ، اذا اتجهت يسارا نحو الشمال قليلا ثم الشرق ، فانك تمر من دهليز صغير يفضي الى الجناح الأول وهو «جناح الحريم» .
• جناح الحريم : وكان يطلق عليه بالتركية (الحرمك) ، وهو أجمل أقسام القصر وأوسعها وأغناها ، له باحة سماوية متسعة فيها حوض كبير للأشجار والزرائع وبركة مستطيلة كبيرة وأخرى مضلعة ، تتحلق حولها في الطبقة الأرضية إحدى عشر قاعة كبيرة وإيوان ورواق وبعض

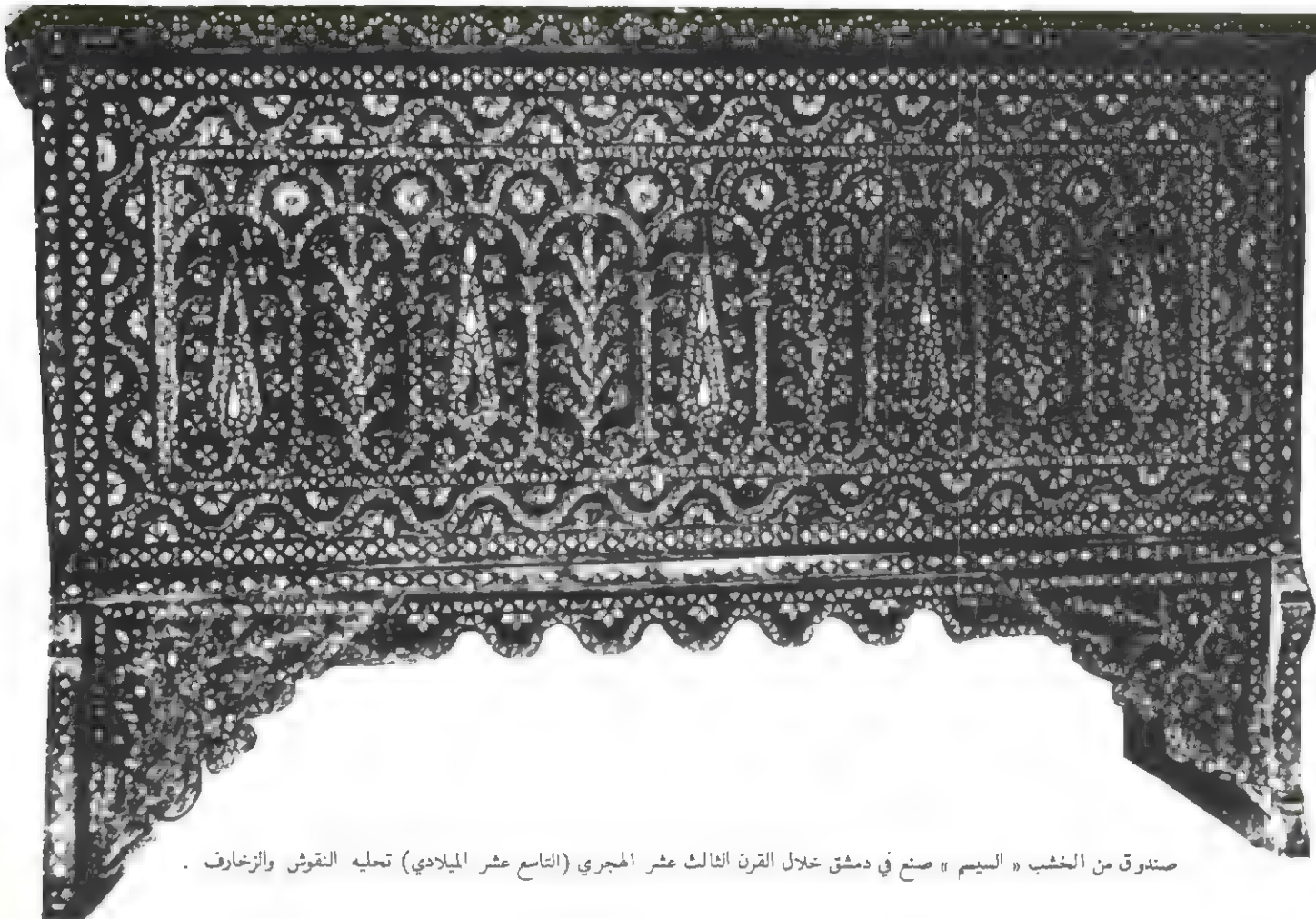
المنافع ، وتشرف عليها غرف الطبقة العليا .
واذا عدت الى المدخل واتجهت من الدهليز يمينا نحو الجنوب ، بلغت الجناح الثاني وهو «جناح الضيوف» .

• جناح الضيوف : وكان يطلق عليه (السلامك) ، وهو ذو باحة متوسطة وأحواض للزرائع وإيوان هام وخمس قاعات كبيرة في الطبقة الأرضية وبعض المنافع ، ويتبعه عدد من الغرف في الطبقة العلوية .

• الحمام : وهي شبيهة بالحمامات العامة ، ولكنها على نطاق مصغر ، وتقع بين السلامك والحرمك وهي مؤلفة من ثلاثة أقسام : البراني وهو معتدل الحرارة ، والوسطاني وهو دافئ ، والجواني وهو حار . وهذا الأخير يتألف من ردهات صغيرة ومقاصير مجهزة بصنابير باردة وساخنة وأجران رخامية في غاية من الاتقان والجمال .

• دار الخدم : يدخل إليها من الزاوية الشمالية الغربية من باحة الحرمك ، ولها باحة سماوية متوسطة المساحة تتوسطها بركة ، وفيها ثلاث

(٢) راجع مقال : دور دمشق الأثرية في مجلة الأوليات الأثرية السورية ج ٣ (١٩٥٣) .



صندوق من الخشب « السيم » صنع في دمشق خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) تحليه النقوش والزخارف .



القاعة الرئيسية لمجلد

خيوط وزخارف هندسية متشابكة تؤلف اطارا وتاجا مستطيلا ، رصعت بالرخام والصدف اللامع . تبدو فوق تاج الباب لوحة تزيينية كبيرة ذات اطار من أحجار بيضاء وصهباء ، محدود بخيط رخامي أسود ، وفي الوسط اطار داخلي مزين بزخارف بارزة . وتتوسط هذه اللوحة البسملة وآية كريمة وأربعة آيات من الشعر موزعة على شطرين ، رقت بالخط الثلث وبالذهب على خراطيش لازوردية .

بسم الله الرحمن الرحيم
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
بسم الله حل بها التهاني
وحمد الله من حسن البضاعة
وبالتوفيق والانتقان شيدت
كنوز نير أبدى شعاعه

قاعات في الطبقة الأرضية ، وأبرز ما في هذا القسم المطبخ الكبير ومخازن المؤونة والأقبية تحت الأرض .

• الاصطبل : ويقع شمالي باب القصر ، ويتصل مباشرة بالطريق العام . وكان يوجد مقابل القصر مرأب للعربات لكنه هدم منذ أربعين سنة وأنشئ مكانه عمارة .

جميع هذه الواجهات مبنية من الحجر ، تتألف من رُصم ٣٠ بيضاء تتناوب مع رُصم زهراء وصهباء وسوداء وتتميز واجهة القاعة الرئيسية بفخامة الباب الذي يصعد اليه من سلمين متناظرين ، وتردان جبهة قوس الباب بحجارة بيضاء وصهباء متعاشقة ، تكتنفها من الأعلى



القاعة الرئيسية لجلوة العروس ، الطرز ال



القاعة المخصصة للصناعات اليدوية النحاسية ، ويبدو فيها الطراق ..

الارتفاع (٤) ، فانه يميز منها نافذتان متلاصقتان عاليتان تقعان باستقامة الباب ، ثم تتناوب الى الجانبين نوافذ مستطيلة مع كوات دائرية . واذا قلب الزائر ناظره في الواجهات الأخرى ، كذلك التي تحوي الايوان الكبير (٥) في الجهة الشمالية من الباحة ، وتلك التي تحوي الرواق الرشيق (٦) في الجهة الجنوبية ، فانه يشعر بالارتياح والانسجام . ولو تأملنا بعض تفاصيل البناء كجبهات الأقواس وحياتها وجدران الأواوين لوجدناها مزينة بزخارف هندسية دقيقة ذات فصوص ملونة . فيها تنوع بديع . ويميز بين محارب الايوان

لها الأقدار فاهت في علاها
بتاريخ أنسى فرد الصناعة
أمير الحاج أسعد في كمال
جاءه الله بالاكرام قاعة
(سنة ١١٦٣)

وجميع نوافذ الواجهة تقريبا مستطيلة ولها أقواس منخفضة . ويعلو كل نافذة لوحة ذات اطار من الرخام الأبيض والأصهب المعشق ، تتضمن زخرفة فيسفاية جصية . هذا ، وليست جميع اللوحات متماثلة تماما ، وانما هي متشابهة ومتناسقة ، أما النوافذ العليا التي هي بمثابة مناوور للقاعة ذات السقف الكبير



وكيله ، الطرز الجنوبي .



المرآة الكبرى في القاعة الرئيسية ، الطرز الشرقي .

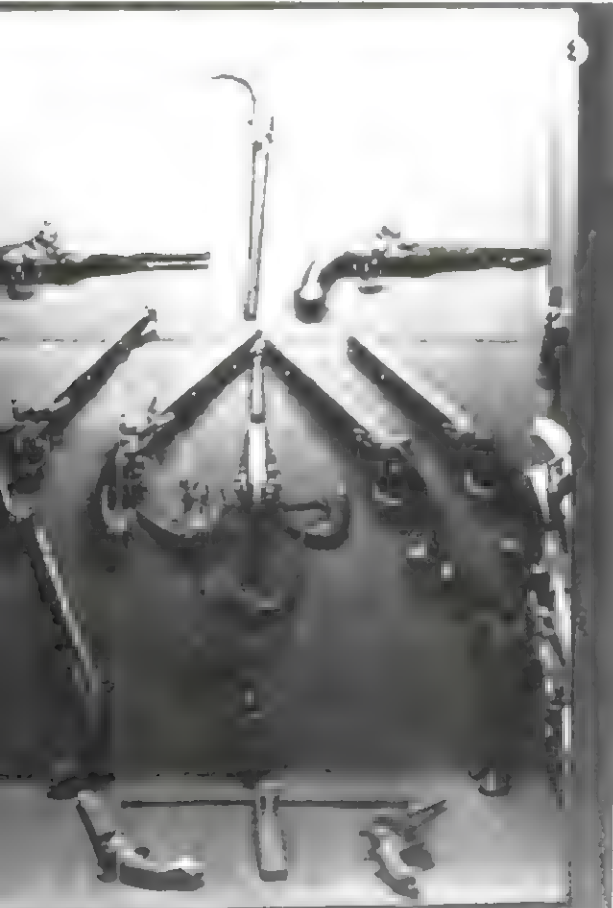
القاعات - ٧

مشكاوات (٨) لطيفة تزدان بمصابيح قديمة .
أما أطر النوافذ العليا فمبنية من الحجر القرميدي
الطري ، ومزينة بزخارف هندسية بارزة ورفاريف
مخزومة باللغة الدقة . كما تزدان تيجان الأعمدة
بمقرنصات عربية متنوعة ، والأبواب وأغلاق
النوافذ الخشبية بخيوط متشابكة هندسية تتحلل
بحلقات نحاسية مخزومة .. ولما بلغت النظر بصورة
خاصة الفسقية المركبة في عتبة الرواق المؤلفة
من مشقات رخامية ملونة نضدت بشكل معجب ،
وكذا الفسقتان اللطيفتان في طزري (٩) الرواق .

تختلف قاعات القصر من حيث المخطط ،
فمنها ما هو مؤلف من عتبة (١٠) وثلاثة طزرات
ومنها ما هو مؤلف من عتبة وطزرين متناظرين ،
ومنهما ما يقتصر على طزر واحد واسع مع العتبة .
أما القاعة الرئيسية في جناح الحريم فمؤلفة
من ثلاثة طزرات ، وسقفها وأطرافها مغوشاة
بكسوة خشبية (١١) مزينة بزخارف ملونة
ومذهبة ، وجدرانها من الحجر النحيت ، ومؤلفة

من رضم زهراء وسوداء متناوبة ، وفيها مصبات
ومكتبات تتخللها مشكاوات تزدان بمصابيح .
وفي صدر الطزر الأوسط مصب ذو نصف قبة
مقرنصة ، محل في أعلاه بلوحة رخامية فسيفسائية
على جانب كبير من الدقة والجمال ، وفيه
سلسلة تفرق على صفحته الخزفية (١٢)
مياه صافية ، تشيع من نافورة الفسقية في العتبة
جوا من البهجة والحبور .

وجبهة الباب من الداخل تشبه جبهته من
الخارج ، وتعلوه لوحة رخامية فسيفسائية دقيقة

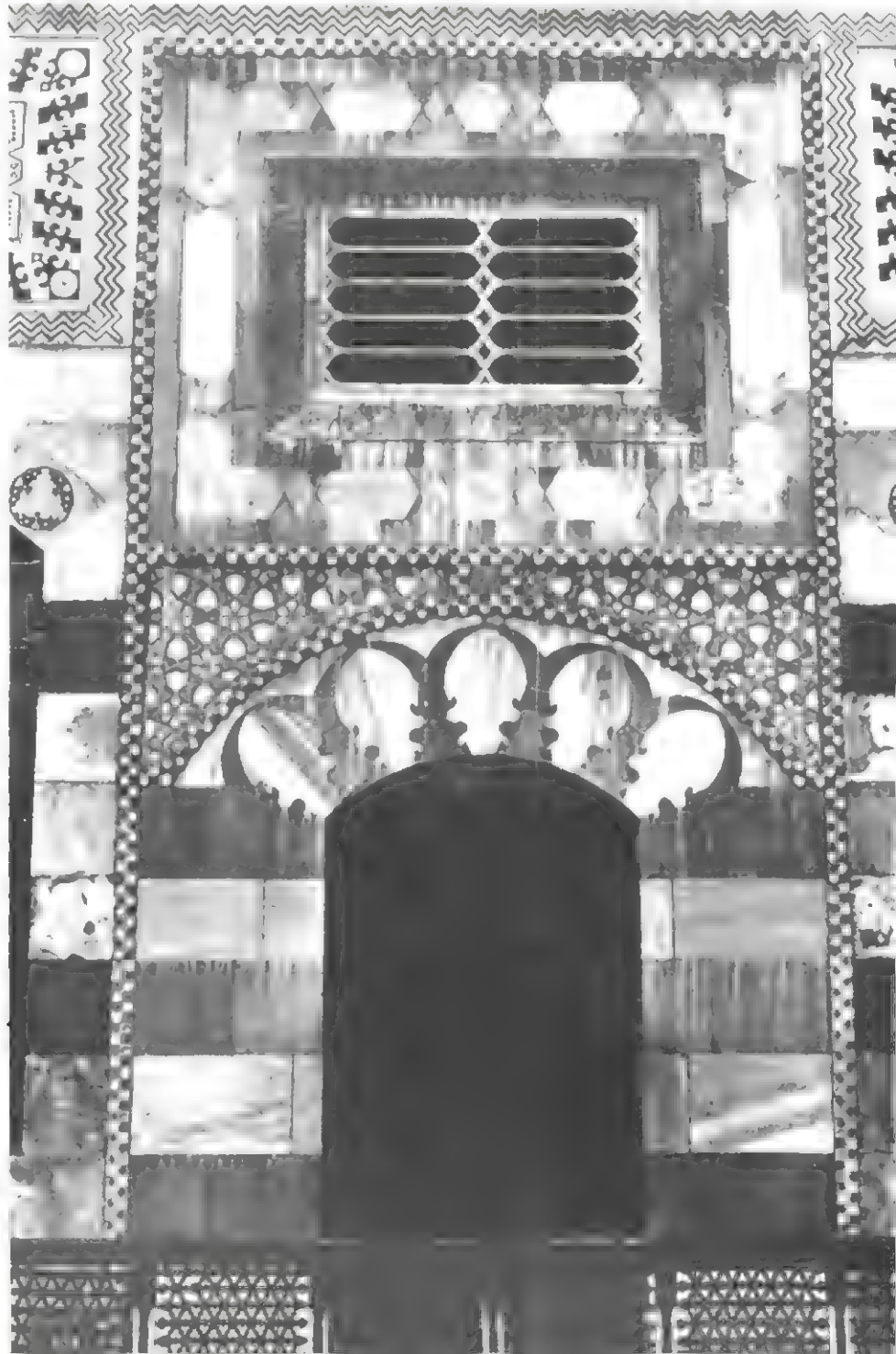


الصنع ، يجاورها من الجانبين لوحتان فسيفسائيتان لا تقلان عنها ابداعا وبهاء . ويوجد في هذه القاعة مقصورتان اضافيتان ملاصقتان للطرز الأوسط ، ومقصورة ثالثة تلي الطرز الأيمن . وهذه المقاصير مخصصة في الأصل للضيوف .

ومن ناحية أخرى ، فإن جميع قاعات القصر في الطبقة الأرضية تتحلّى بالسقوف والكسوات الخشبية التي تتضمن مكتبات ومحاريب ومشكاوات تزدان جميعا بالتحف والنقائس

- (٨) المشكاة فجوة غير نافذة في الجدار تستخدم لوضع مصباح أو قنديل .
- (٩) الطرز كلمة دخيلة وتعني أحد أجنحة القاعة ، وتكون أرضه في الأصل أعلى من مستوى منته .
- (١٠) هو القسم المنخفض من القاعة على مستوى عتبة الباب ، تتوسطه بركة صغيرة من الرخام المنوب أو فسقية لطيفة .
- (١١) احترقت هذه القاعة سنة ١٩٣٥ ، فجدد بناؤها كما كانت في الأصل لكن مقوفه وأطنافه الخشبية لم تستكمل جميعها ، بل اكتمى تركيب سقف وأطناف للطرز الأوسط من مبنى معاصر تقريبا لمبنى القصر .
- (١٢) كانت هذه الصفحة المنحدرة في الأصل - حسب ما نراه في هذه القاعة - من الرخام المنجزع (المشق) والملون ، عندما دمت بعد الحريق ركب فيها ألواح من الخزف الأوروبي وهو لا يتناسب مع أي جزء من آخره القاعة .

- ١ - الدهليز الذي يربط المدخل بجناح «السلامك» .
- ٢ - الرواق الشمالي في قسم «الحرملك» بالقصر ، وتبدو في العتبة فسقية من الرخام المشقف .
- ٣ - مجموعة من «الأراجيل» المصنوعة من الزجاج والمحفوظة في قصر العظم بدمشق ..
- ٤ - قاعة السلاح الناري التابعة للجناح الجنوبي في قسم «الحرملك» حيث تبدو نماذج مختلفة للأسلحة النارية .
- ٥ - مدخل القاعة الرئيسية التابعة لقسم «الحرملك» في القسم الجنوبي من قصر العظم ..
- ٦ - حجرة الاستحمام التابعة للجناح الجنوبي في قسم «الحرملك» بالقصر ..



وقيمة الفنية التي يمكن أن نستشفها من خلال الوصف المختضب .

ان هذا القصر ليعبر مثالا حيا عن دور دمشق القديمة . حفظ ورسم وأحل فيه متحف التقاليد الشعبية والصناعات اليدوية الدقيقة ■

على اللوحة الحجرية التي تتصدر باب القاعة الرئيسية

أما غرف الطبقة العليا فهي أيضا مكسوة بالخشب ومزينة ببعض الخزف ، ومقتصرة على ما يكفل راحة الأسرة ومتطلبات الحياة اليومية ، الخالية من البذخ والترف .

هذه أمثلة سريعة عن حياة القصر المترفة

والمصاييح الفاخرة ، يضاف الى ذلك فسقيات المياه والزخارف الرخامية والخزفية ، وخاصة في في مصبات القاعات .

وتتضمن الكسوة الخشبية في أعلى الجدران لوحات كتب عليها بالذهب آيات قرآنية وأشعار تنتهي بالتاريخ ١١٦٣ . وقد تكرر هذا التاريخ في عدة قاعات ، وهو مطابق للتاريخ المذكور

محمد أبو الفرج العث - دمشق



تصوير : حنيل أبو النصر

القاعة الرئيسية في القصر يتوسطها موقد اعداد القهوة العربية ..

المحكمة والكوزموغرافيا

بقلم الدكتور نفوس زيادة

هؤلاء المؤلفون الأربعة هم أصحاب التأليف الكوزموغرافية ، أي الكتب التي تصف الكون ، وتحاول تصويره وتفسيره ، فتذكر صفات الأقاليم والمدن من الجهة الواحدة ، ثم تنتقل ، ومرات يكون الانتقال في الفقرة نفسها أو الصفحة ذاتها . لتذكر غريبة أو عجيبة لا أساس لها من الصحة . والغريب أن بعض هؤلاء المؤلفين ، مثل أبي حامد الغرناطي ، يكون غاية في الدقة في وصفه لمنطقة زارها ، ثم ينتقل فيذكر عنها شيئا لم يره بنفسه ، ولكن نقله عن غيره .

وحري بالذكر أن تصور الكون ووصفه كوزموغرافيا عرفه من قبل أمثال المسعودي والبيروني . لكن هذين المؤلفين كانا ينظران إلى الأمور نظرة علم ، بينما كاتبنا المتأخرون كانوا يرون في ذلك غرابة وعجبا . ولعل الأمر لا يعدو أن يكون نتيجة الحالة الفكرية في الفترة التي عاشت فيها هذه الجماعة ، من « أبي حامد » إلى « ابن الوردي » ، أي زمن تأخر في الكتابة الجغرافية وغيرها .

ولنقدم كلا من هؤلاء الكتاب الأربعة قبل التحدث عن المواضيع التي طرقتها . فأبو حامد الغرناطي أندلسي ولد في غرناطة سنة ٤٧٣هـ (١٠٨٠م) ، وظل فيها وفي غيرها من مدن الأندلس إلى سنة ٥٠٠هـ (١١٠٧م) ، وكان يتلقى العلم على أهله . وفي تلك السنة غادر بلاده إلى المغرب الأقصى ، فطوف في أنحاءه حتى جنوبه ، ثم انتقل إلى تونس فالإسكندرية فالقاهرة . وكان في كل مكان يجلس على أساطين العلم متعلما مستفيدا . وكان رحيله عن مصر في عام ٥١٥هـ (١١٢١م) فنزل

فيما مضى عن مصادر المعرفة الجغرافية عند العرب ، وقفينا على ذلك بالجغرافية الرياضية عندهم ، وانتقلنا بعد ذلك إلى المدرسة الجغرافية العربية ، بما فيها من مسالكين وبلدانيين ، ثم عرضنا للمعاجم والموسوعات ، وأجزنا بعد ذلك بالرحالة محاولين أن نبين أثرهم في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب .

واليوم نود أن نتحدث عن مجموعة من المؤلفين وضعوا كتبها أساسها تصور الأرض ، لا وصفها ، ومحاولة اكتناها الصلة بين الأرض والكون بكامله . لكنهم ضمنوا كتبهم الكثير من أخبار العجائب والغرائب ، أكثرها مما يشوق القارئ . دون أن يكون له سوى أساس ضئيل من الصحة ، لكن الأسطورة نسجت حول هذا الأساس الضئيل ثوبا فضفاضا من الخيال . في هذا المجال ثمة أربعة كتب برزوا بشكل ملحوظ بالنسبة لقراءهم

ومعاصريهم ، وبالنسبة للباحثين في العقود الأخيرة ، وهؤلاء هم :

- « أبو حامد الغرناطي » المتوفى سنة ٥٦٥هـ (١١٧٠م) واسم مؤلفه « تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » .

- « زكريا بن محمد القزويني » المتوفى سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) وله « آثار البلاد وأخبار العباد » و « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » .

- « الدمشقي » المعروف بشيخ الرتبة المتوفى سنة ٧٢٧هـ (١٣٢٧م) وصاحب كتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » .

- « سراج الدين بن الوردي » المتوفى سنة ٨٦١هـ (١٤٥٧م) مؤلف « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » .



توزيع أقاليم الأرض عن القزويني

أما شمس الدين محمد بن أبي طالب ، الذي عرف فيما بعد بالدمشقي ، فقد ولد في دمشق سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م) ، وبذلك يكون قد وعى في صباه وشبابه هذا التوتر والاضطراب الذي أحس به الشرق الاسلامي بسبب احتلال المغول لبغداد والقضاء على الخلافة العباسية واجتياحهم لديار الشام ، كما أنه أحس ، فيما بعد ، بالاطمئنان الذي شمل ديار الشام ومصر بسبب قيام دولة المماليك . وقضى «الدمشقي» معظم سني حياته بدمشق ، ولأنه كان أماما بمسجد «الربوة» عرف باسم «شيخ الربوة» . وكانت له نزعة صوفية ، ولعل هذا ما حمله على اعتزال العالم وقضاء السنوات الأخيرة من حياته بناحية من فلسطين ، وقد توفي سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧م) .

ويبدو أن الدمشقي كان واسع الاطلاع متبحرا في ثقافة عصره في التصوف والدين والفقه والجغرافية . وكتابه الذي يهمنا الآن هو «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» .

وأخر المؤلفين الأربعة الذين نوليهم العناية في هذه المقالة هو «سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي» ، وهو ، على الأرجح ، قد نشأ وترعرع في حلب . ولم يتمكن الباحثون من الاهتداء الى سنة مولده ، ولكنهم يكادون يتفقون على أنه توفي سنة ٨٦١ هـ (١٤٥٧م) . ولسنا نعرف عنه الا أنه عاش في حلب مدة طويلة في رعاية صاحبها .

دمشق وتنقل في أنحاء سورية ولبنان ، وفي السنة التالية حل في بغداد . ويبدو أنه جعل بغداد مستقرا له حيث أخذ يتنقل سائحا زائرا رحالة ، فزار إيران وتركستان ومنطقة الفولغا وبلاد المجر ، وأدى فريضة الحج . وخرج من بغداد سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١م) الى الموصل حيث كتب «التحفة» . ثم انتقل الى حاب فدمشق حيث توفي سنة ٥٦٥ هـ (١١٧٠م) . .. وكان في الثانية والتسعين من عمره . وقد قضى معظم سني حياته يجوب الآفاق ويرمي بنفسه في المخاطر ، يدفعه الى ذلك شوق عظيم الى المجهول ورغبة لا تحبو في الوقوف على غرائب هذا الكون الواسع وبدائع صنع الله فيه .. »

والقزويني عربي النجار . قزويني المولد والنشأة . ولد سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣م) . ويبدو أنه تلقى من العلم ما وصلت اليه يده قبل أن ينتقل الى الشام حول سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣م) ، حيث تعرف الى الصوفي الأندلسي الشهير «ابن العربي» واتصل في الموصل بالأديب ابن الأثير (وهو أخو ابن الأثير المؤرخ) . وقد ولي القزويني القضاء في واسط والحلة بالعراق ، وتوفي سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣م) في بغداد ، وذلك بعد احتلال «هولاكو» التتري لها بخمسة وعشرين سنة .

وللقزويني كتابان ، أحدهما «آثار البلاد وأخبار العباد» وهو كتاب في الجغرافية ، والآخر «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» ، وهو الكتاب الذي يعيننا أمره في هذا المقام .

لن هذه الكتب التي يمكن أن تشملها كلمة « كوزموغرافية » صفات عامة ، وإن كان بعضها يختلف عن البعض الآخر في هذه الصفات . فمنها أنها تعرض للقوانين العامة التي تتحكم في النظام الشمسي بقدر ما قبلوه أو أدركوه . ومنها أنها تعنى بجميع الظواهر الطبيعية التي تتعرض لها الكرة الأرضية من حيث الزلازل والبراكين وظهور الجزر . واختفاؤها أحيانا . ومنها حرصها على التحدث عن المعادن والنبات والحيوان . وكثير منها يقدم لنا معلومات « اثنوغرافية » قيمة . وتفتقر كلها تقريبا الى الاصلة في البحث والعمق في التحليل . فالمعلومات التي جمعها هؤلاء الكتاب غاية في الاتساع ، لكن ليس بينهم من صاغ نظرية أو أتى بجديد في عالم الفكر . وتتفق جميعها في أنها مصنفات تركيبية تعرض المادة العلمية بطريقة عجائبية تلذ للقرء العام . والقزويني بشكل خاص .. يتميز بالوضوح في الأسلوب الذي يبلغ به في واقع الأمر درجة رفيعة . ولديه مقدرة فائقة في تبسيط أكثر الظواهر تعقيدا .. غير أن الميزة الرئيسية لهذه المؤلفات عنايتها بالعجائب والغرائب ، ومولفوها كانوا ، في غالب الأحيان ، أصحاب نزعة تصوفية دينية فكانوا يرون في هذه الغرائب معجزات الخالق .. وكثيرا ما اتخذت رسائلهم طابع الموعظة والتهذيب .. « ولناخذ على سبيل المثال ما ذكره « أبو حامد الغرناطي » حول هذه النقطة بالذات . ففي المقدمة يرتب العقول في درجات ، فيقول :

فعقول الملائكة والأنبياء أكبر (من عقول جميع العلماء ، وعقول العلماء أكبر) من عقول (جميع) العوام في الدنيا ، وعقول العوام أكبر من عقول النساء ، وعقول النساء أكبر من عقول الصبيان . وبقدر هذا التفاوت يقع الانكار لأكثر الحقائق من أكثر الناس لنقصان العقل . لأن الذي يعرف الجائز والمستحيل يعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل .

ونحن اذا أخذنا هذه الكتب التي ذكرنا من قبل ، واحدا بعد الآخر ، وجدنا في ذكر فصولها ما قد يوضح محتوياتها . فكتاب « تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » للغرناطي فيه أربعة أبواب . يبحث الباب الأول في صفة الدنيا وسكانها من أنسها وجانها ، والثاني في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان ، والثالث في صفة البحار وعجائب حيواناتها وما يخرج منها من العنبر والقار ، وما في جزائرها من أنواع النفط والنار . أما الباب الرابع فيبحث في صفة الحفائر والقبور وما تضمنت من القفار الى يوم النشور .

وكتاب القزويني « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » ينقسم الى قسمين يعالجان العالمين العلوي والسفلي كلا على حدة . والقسم الأول الذي يبحث في العالم العلوي يتناول الكلام على ما في السماء من أجرام ، أي الشمس والقمر والنجوم والملائكة ، سكان ذلك العالم ، وفيه بحث عن التوقيتات والتقاويم العربية والسريانية لارتباطها بحركات الاجرام السماوية .

أما القسم الثاني الذي يبحث في العالم السفلي ، أي الأرض وظواهرها ، فيتناول فيه المؤلف ما عرف عن العناصر الأربعة (النار والهواء والماء والتراب) مفصلا الحديث عنها . ويقسم المعمورة الى سبعة أقاليم ، ويفصل أسباب حدوث الزلازل والبراكين ، وتكوين الجبال ، ونشأة الأنهار والينابيع ، ثم ينتقل الى ممالك الطبيعة الثلاث ، المعدنية والنباتية والحيوانية . والانسان هو منطلق الحديث في هذه المملكة ، فتركيبه العضوي وخصائصه الأخلاقية

ومميزات شعوبه مفصلة . وبلي ذلك حديث عن الجان والغيلان . ويجدر بنا أن نشير هنا الى أن مصنف « القزويني » هو أكبر أثر للكوزموغرافية العربية .

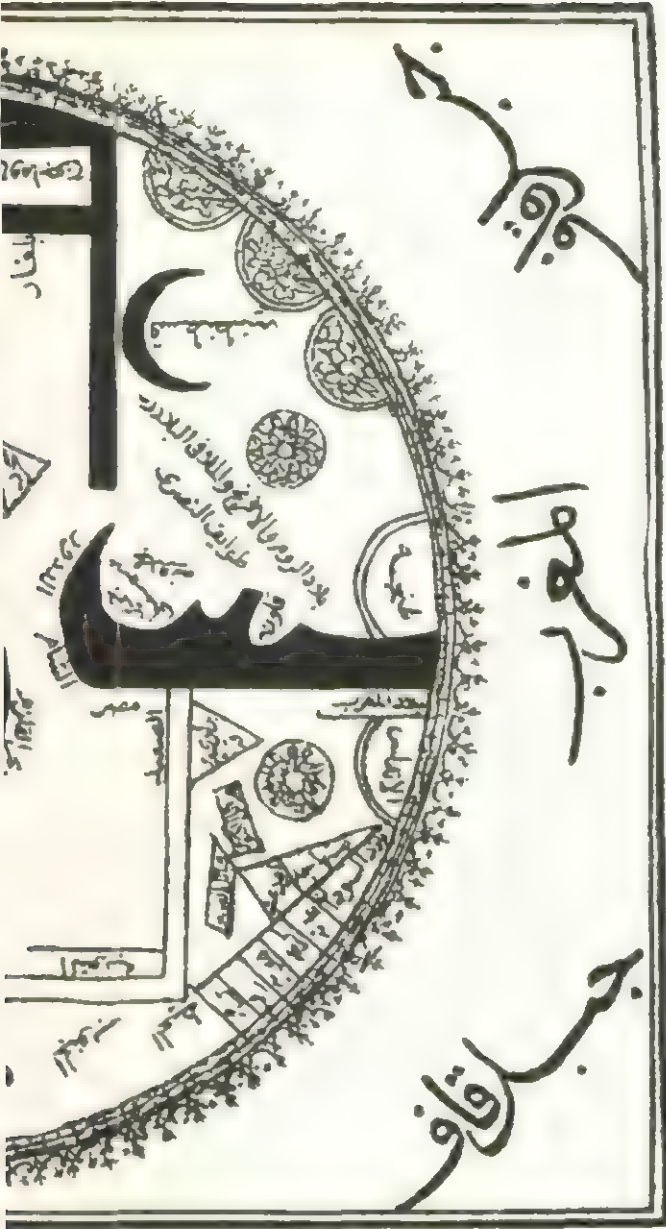
« ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر » للدمشقي فيه تسعة أبواب ، أولها فيه مقدمة في شكل الأرض وأقاليمها السبعة وفصول السنة . وهي مقدمة تقليدية لا تختلف كثيرا عما ألفناه في كتب الجغرافية السابقة . وأما الباب الثاني فيبحث في المعادن السبعة الدائبة المتطرفة ، وذكر طبائعها وخصائصها وفعالها وما يمت الى ذلك كله بصلة . ويتناول الباب الثالث الأنهار الجارية والعيون والآبار وينابيعها المختلفة . ويدور الباب الرابع على كثرة المياه وما قالت القدماء وفي احاطته بالأرض . ويختص الباب الخامس بذكر بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ووصف حدوده ونواحيه . ويتناول الباب السادس ذكر بحر الجنوب (المحيط الهندي) وما يتفرع منه . ويختص المؤلف الباب السابع بالممالك الشرقية الكبار وأصقاعها وكورها ، كما يختص الباب الثامن بالممالك الغربية من مصر الى الأندلس مرورا بأقطار المغرب . أما الباب التاسع والأخير فيختص بوصف انتساب الأمم الى سام وحام ويافث ، وذكر ما امتازوا به وأسماء شهورهم وخصائص البلاد والانسان .

و « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » لابن الوردي ، يختلف توزيع فصوله باختلاف النسخ التي نشرت طبعة معينة عنها . والنسخة التي بين أيدينا هي طبعة القاهرة سنة ١٣١٤ هـ . وقد قسم الكتاب فيها الى خمسة وعشرين فصلا . أولها في ذكر المسافات ، وثانيها في صفة الأرض وتقسيمها ، وثالثها ، وهو أطول الفصول ، في ذكر البلدان والأقطار . ثم تليها ثمانية فصول قصيرة تتحدث عن البحار وما فيها . وثلاثة فصول عن الأنهار والعيون والآبار ، وفصل واحد في الجبال ، وفصل عن الأحجار ، وخمسة فصول في النباتات والفواكه والبقول الكبار والصغار والحشائش المختلفة والبذور ، وثلاثة فصول في الحيوان ، والفصل الأخير في خصائص البلدان . (وفي الطبعة المذكورة ص ١٧٥-٢١٩ فصل طويل عن مسائل عبد الله بن سلام للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وقصيدة جامعة لغالب أحوال القيامة ، هي في رأي أكثر الباحثين ، زيادات من عمل النساخ لا من وضع ابن الوردي) .

ويجدر بنا ، وقد تعرفنا الى المؤلفين ومؤلفاتهم ، أن نشير الى مزايا كل منهم على انفراد ، وهذه يمكن اجمالها فيما يلي :

أبو حامد الغرناطي رحالة جواب آفاق ، فقد تنقل في أنحاء **لغات** العالم الاسلامي وخارجه وعمل في التجارة . ولذلك كانت تجاربه واختبراته واسعة ، ومعرفته العملية كبيرة ، ومشاهداته كثيرة . وهذا يبدو جليا وواضحا في تأليفه . فقرأ يتحدث عن منارة الاسكندرية وأهرامات مصر وتجارة بحر الخزر حديث العالم المدقق . لكن الغرناطي لم يكن علامة ولا ادعى أنه عالم . ولم يكن يرمي الى غاية معينة أو هدف تعليمي خاص . وكل ما رمى اليه ، على حد تعبير « دوبر » .. هو تسليية جمهوره ، ومن هنا جاء اهتمامه الدائم بتقديم استطراد بعد آخر ليزهى بحشد مجموعه المتنوع اللطيف من الحكايات والأقايص ..

ولعلنا نصف الغرناطي والباحثين الذين تعرضوا لدراسة هذا النوع من الأدب الجغرافي العربي اذا نحن نقلنا للقراء تقدير « كرتشكوفسكي » للغرناطي ، اذ يقول :



« ومن المستحيل تجاهل الغرناطي في تاريخ الأدب الجغرافي ، فهو قد اكتسب شهرة عريضة لدى جمهوره القراء ، لأن المنهج الذي ابتدعه في الجمع بين معطيات واقعية دقيقة وضروب من العجائب مختلفة في وحدة كوزموغرافية قد راق كثيرا للأجيال التالية . وقد اتسعت قراءة مصنفه واستنساخه بصورة ملحوظة ، كما حفظ لنا شذرات كبيرة منه كوزموغرافي القرن الثالث عشر القزويني واستعمله كل من ابن الوردي وابن اياس في بداية القرن السادس عشر ، ولم يقف عدد من نقلوا عنه عند حد الجغرافيين وحدهم بل تعداه الى غيرهم ، فرجع اليه عالم الحيوان الأديب الدميري (القرن الخامس عشر) وصاحب المجموعة الأدبية الذائعة الصيت الأبشهي في القرن الخامس عشر . وقد خمن أبو حامد تخميناً صحيحاً حاجة الأجيال القادمة الى هذا الضرب من المؤلفات ، فعند ذلك الحين أصبح نمط الكوزموغرافيا بما يلائمه من عنصر الغرائب محبباً الى الطبقات الشعبية بشكل خاص ، وليس في مقدورنا بطبيعة الحال أن نعتبر هذا النمط خطوة تقدمية في ميدان العلم ، اللهم الا اذا استثنينا فقاطاً معينة فيه . »

ابن القزويني فقد اقتصر تنقله على رقعة تمتد من قزوين الى شمال العراق ، وهي رقعة صغيرة اذا قورنت بأفسار الغرناطي . لكن القزويني شهد الغزو المغولي وعرف ما جره على البلاد التي كان يعرفها من أهوال ، وهي تجربة شخصية هامة . ولكن أثر هذه التجارب لا يظهر في مؤلفه ، فنظرت الى الغرائب والعجائب نظرة من يسلم كل أمر لله عز وجل ويقبل بحكمه . وبذلك فالذي يمكن أن يقال عن القزويني هو أنه ناقل مثالي ، ولا شك أن اطلاعه الواسع ومادته الغزيرة يسرت له أن يكون عمله مزيجاً تركيبياً ، بحيث يبدو لنا « لوحة متعددة الألوان تحفل بمادة جغرافية وافرة . » والقزويني يزين كتابه بأشكال ورسوم كثيرة ، بحيث يمكن تتبع بعض آرائه فيها .

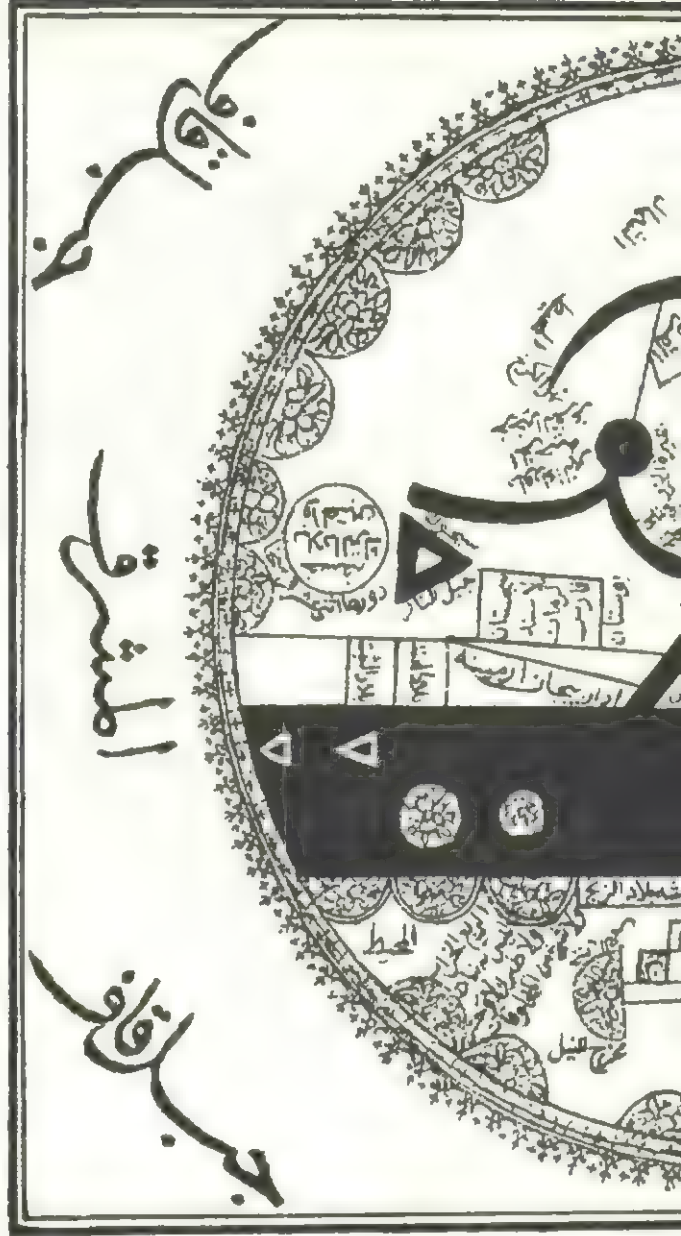
ويمثل الدمشقي الرجل الذي ينقل العلم والمعرفة عن سبقه اليهما دون أن يسعى الى العلم رحلة او انتقالاً . فقد قضى حياته في دمشق ثم تصوف وتزهد واعتزل الناس حتى وفاته . ولعل ميزة الدمشقي هي احتفاله بمعطيات النبات والحيوان والمعادن وطبقات الأرض . ولذلك فهو مفيد لدراسة التاريخ الطبيعي . والدمشقي يزودنا بمعلومات قيمة عن ديار الشام وفلسطين . فهو لا يكتفي بوصف دمشق مثلاً ، ولكنه يتحدث عن صناعة استخراج ماء الورد ، ويضع بين أيدينا رسماً يبين طريقة استقطاره . ولا غرابة في ذلك فقد عرف الدمشقي بلاده مباشرة ، بينما كان ينقل أخبار غيرها عن سبقه دون تمحيص أو نقد ، أما لأنه لم يرد ذلك أو لأنه لم يستطعه .

أما « ابن الوردي » فانه يختلف عن نظرائه من الكتاب في أنه ركز على العجائب والغرائب بحيث كانت الأصل عنده ، وقد نثر فيها ، هنا وهناك ، حقائق ومعلومات . وقد وضع ابن الوردي كتابه تلبية لطلب « شاهين المؤيد » ، قائد قلعة حلب . فلما هم بالكتابة رجع الى ما كان بين يديه من الكتب ، فقرأها ونقل عن الكثير منها . وخريطة ابن الوردي ، التي يعرضها علينا في أول كتابه ، تظهر عليها الروم والافرنج وغيرهم من طوائف النصارى ، كما يدور بها جبل قاف من جميع الجهات . وهنا تجد الحقيقة ممتزجة بالأسطورة من الأصل .

ولعل خير ما نفعله هو أن ننقل جزءاً من مقدمة ابن الوردي ، ففيها توضيح لرأيه العام في كتابه . قال :

« وضعت دائرة مستعينة بالله تعالى على صورة شكل الأرض في الطول والعرض بأقاليمها وجهاتها وبلدانها وصفاتها وعروضها وحياتها ، وأقطارها وممالكها وطرقها ومسالكها ومفاوزها وممالكها ، وعامرها وغامرها وجبالها ورمالها وعجائبها وغرائبها ، وموقع كل مملكة وإقليم من الأخرى ، وذكر ما بينهما من المتالف والمعاطب برا وبحرا ، وذكر الأمم المقيمة في الجهات والأقطار طراً ، وسد ذي القرنين في سالف الأحقاب على أجوج وأجوج كما جاء في نص الكتاب . وسميته « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » ، وبالله سبحانه الاعتصام وهو حسبي على الدوام ، ومنه أسأل السداد والتوفيق ، فانه أهل الاجابة والتحقيق . »

حسب أنه من حق القارئ أن نضع بين يديه نماذج مما وصل إلينا من كتابات هؤلاء الكوزموغرافيين العجائبيين الغرائبيين . ولذلك فاننا



وردي

نقل هنا قطعة واحدة من كل من « التحفة » ، و « العجائب » ، و « النخبة » ، و « الخريدة » .

في الباب الثالث الذي عقده الغرناطي في صفة البحار وعجائب حيواناتها ، جاء قوله :

ولقد رأيت يوما وأنا على جانب البحر وقد جزر الماء بعد الظهر وانكشف جبل في البحر قريب من الساحل فرأيت على صخرة من تلك الجبل عددا من التارنج الطري الأحمر الذي كأنه قد قطع الآن من شجرة فقلت في نفسي (هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منها) واحدة فاذا هي متصلة بالبحر واذا بها حيوان يضطرب في يدي ويتحرك فتركته ونظرت اليه واذا فمه في موضع العرجون الذي يعلق التارنج وهو ثقب فيه خضرة كما يكون التارنج ، وهو يتحرك ويفتح فمه وكأنه يأكل (شياً) وهو لين فلففت كم ثوبي على يدي وقبضت

(عليه) مرة أخرى وعصرته (وجرته) فخرج من فمه مائة كثيرة وضم ولم أقدر أن أقلعه من مكانه فأخرجت سكيناً كان معي ورميت قلعه عن الحجر أو قطعه فلم يؤثر السكين فيه شيئاً وعالجت كل واحدة منها فلم أستطع لها على شيء فتركتهما عجزاً منها وهي من عجائب (خلق الله تعالى) ورأيت جميعها (أحياء) يتحرك وليس لها عين ولا جارحة من الجوارح الا الفم والله أعلم لأي شيء تصلح .

ويكون أيضاً في البحر (نوع من) حيوان يشبه رأسه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر جلد العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلي الضفدع يشب عليهما كما يشب الضفدع وليس له يدان يعرف بالسملك اليهودي وذلك أنه اذا غابت الشمس ليلة السبت خرج من البحر وألقى نفسه في البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل لم يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فيبرأ ولا يجد النقرس ألماً ما دام (ذلك) النعل في رجله وهو من عجائب الدنيا .

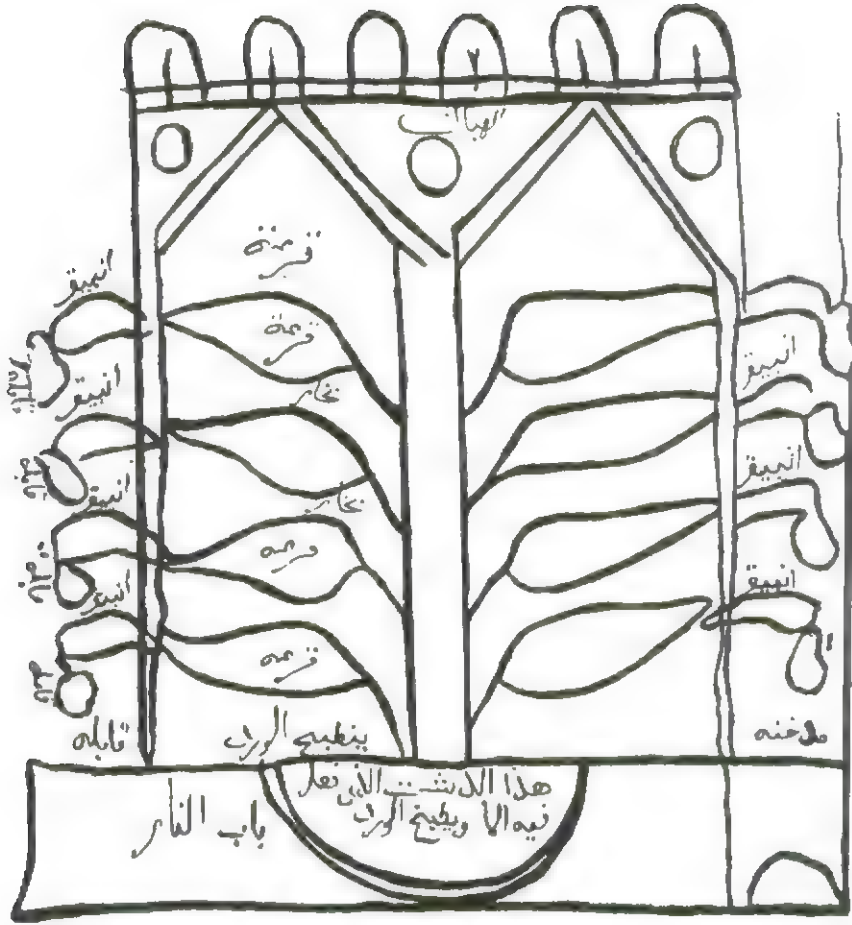
وفي حديث القزويني عن المعادن وتحويلها ، يقول :

اقليماء الذهب : قال أرسطو ان الذهب اذا خلط بغيره من الأحجار ثم أدخل النار للخلاص خلص جسمه ثم علاه حجر مشوب بسواد وبعضه على لون الزجاج وهو الحجر المسمى باقليماء الذهب ينفع من وجع العين ويذهب عنها البياض الحادث فيها وينفع من البلل الذي تحلب من العين ، وقال غيره ينفع من ابتداء نزول الماء في العين ويدمل القروح الخبيثة وينقي أوساخها ويأكل لحومها الزائدة وتجففها بغير لدع . اقليماء الفضة : قال أرسطو ان الفضة أيضاً اذا أدخلت النار للخلاص تتخلص من الأجساد التي خالطتها ثم يعولها جسم يسمى اقليماء الفضة وهو أقل نفعاً من اقليماء الذهب وهو نافع من القروح والسعفة والجرب طلاء مع بعض الأدهان ، وقال غيره أنه ينفع من وجع العين ذوراً وفي المراهم ينبت اللحم في الجراحات .

باهت : هو حجر أبيض في لون المرقشيتا البيضاء يتلألأ حسناً ، اذا وقع عليه نظر الانسان يضحك حتى يموت وزعموا أنه مغناطيس الانسان وله قصة في مدينة النحاس وهي أن من علا سورها يضحك وينجذب الى داخلها ذكروا أن في وسط هذه المدينة عمود من حجر باهت من علاها يجذبه به اليه وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى في مقالة البلدان ، واذا أخذ الانسان الضحك من وقوع نظره عليه لا يبريه من ذلك شيء الى ما شاء الله ولا يبطل فعل هذا الحجر الا طائر صغير يقال له القفر وهو أصغر من العصفور ولونه أسود وله طرق حمر وعيناه حمراوتان ورجلاه كذلك زعموا أنه اذا وقع على هذا الحجر أبطل فعله .

وتعرض الدهشقي للمعادن ، فذكر أنواع حجر المغناطيس بقوله :

حجر المغناطيس ومعده ببحر الهند وبجبل عند القلزم وبالأندلس وبناحية من خراسان وهو من الحجارة الحديدية ومن خواصه أنه يقوى جذبته للحديد .. وأجوده المعرق بالخمرة الذي لونه شبيه بلون الحديد وأفضله جذبا ما جذب منه نصف مثقال مثقال حديد وحمله ... وقال أرسطو في علة تكوينه ان المغناطيس ابتداء في معدنه ليكون حديدا فعرض له الحر واليس فصار حجرا صليبا شديدا الصلابة لقلة الرطوبة في معدنه وغلظ اليس المتصل به وهو جاذب للحديد بالخاصة . وقال عطارد الحاسب هو ثلاثة أنواع أحدها يجذب والثاني يهرب والثالث جانبه يجذب والآخر يهرب .



تقشير الورد للدمشقي

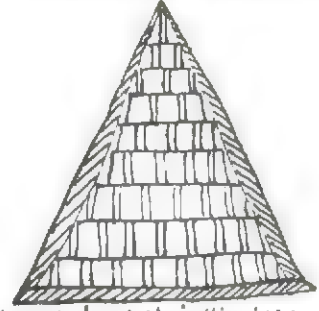
إذا لصق باللحم اقلعه من لحوم الحيوان الحي ومن لحوم الميت دونه .
وحجر يختلس العظام قال أرسطو هو حجر أصفر خشن المحسنة
يجلب من بلاد بلخ إذا دنا من العظم اختلسه .
وحجر يختلس الشعر قال أرسطو هذا الحجر إذا ألح عليه انسان
بالنظر ظن أنه شعر متلف فإذا جسده باليد علم أنه حجر وهو متداخل
الجسم ليس في جميع الأحجار أخف منه وهو يحلق الشعر إذا مر به على
أجساد الحيوان كما تفعل النورة وإن طرح الشعر على الأرض التقطه .
وحجر الظفر قال أرسطو وهو حجر مشوب بغبرة لبن المجسة متى
مرت به على ظفر سلخه أو على قلامة الأظفار التقطها . وهذا الحجر
مع لبنه لا يعمل فيه الحديد ولا ينكسر بالماس .
وحجر يجذب القطن ، قال أرسطو وهو حجر يتكون في سواحل
البحر من الملحونة لونه أبيض إذا وضع عليه القطن التصق به ولو كان
منسوجا مع كتان .
وحجر يجذب الصوف قال أرسطو وهو حجر مدور أخضر اللون
فيه عروق صفراء يوتى به من جزائر بحر الصين خفيف الجسم إذا
دنا من الصوف وقع عليه حتى يغوص فيه .
وحجر يجذب الماء قال أرسطو هو حجر أبيض إذا شدته على سرة
المستشفى ليلا وترك إلى الصباح ثم جعل في الشمس قطرت منه قطرات
من الماء إلى أن لا يبقى منه شيء ثم يعاد ويشد أيضا ويفعل ذلك مرارا
حتى يرى المستشفى .

وحجر الماس مغناطيس الذهب فانه إذا قرب منه التصق به وأمسكه .
والذهب مغناطيس الزئبق حيث لقيه جذب به إليه ولصق به وامتزج
به وكذلك إذا اختلطت برادة ذهب ورصاص ونحاس وحديد وقصدير
وألقى عليه الزئبق طلبه برادة الذهب وأمسكه واختلط به دون باقي البرادات .
وحجر الفضة سماه أرسطو مغناطيس الفضة ، وهو حجر أبيض
مشوب بحمرة إذا غمز عليه الانسان بيده صر كما يصير القصدير وليس
في القصدير شيء منه ولا فيه شيء من القصدير وهو يجذب الفضة
على خمسة أذرع .
وحجر الصفرة سماه أرسطو أيضا مغناطيس النحاس الأصفر
والأحمر وهو حجر مشوب بصفرة وغبرة وكودة وإذا قرب منه النحاس
التصق به .

وحجر الرصاص سماه أرسطو مغناطيس الرصاص وهو حجر قبيح
المنظر متين الرائحة إذا ألقى منه دائق على عشرة دراهم رصاص عقدها
فضة وبلت السبك (والمطرفة هذا كلام أرسطو وقال الحاذق أن أرسطو
أراد ذكر التسويد الأول من السواد الثاني المسمى أبار ويكون منه الجزء
صابغا لثلاثمائة وعشرين جزءا والله أعلم) .

ومن هذه الحجارة مغناطيس اللحم قال أرسطو ان هذا الحجر
يكون في البحر من صنفين حيواني ومعديني ، فالحيواني يعرف بأرنب
البحر وهو حجر إذا ألقى عليه شيء من حيوان ليس عليه شعر لصق به
فلم يقلع دون أن يقلع اللحم ولا يسيل من موضعه دم ، والصنف الآخر

العصور والمصرم الذي فتحه المأمون وهذه صفته



هرم خالو طمان

مريض الحائط الذي فتح فيه الباب أحده عشر حجرا كل حجر عريضه مشرود راعا وقد دخلت في ذلك الهرم في داخله فية مربعة الاسفل منه ورة الاعلى تيره في وسطها يرمونها مقدار عشرة اذرع وهي مربعة بزل الانسان فيها نجد هاتين كل وجه من ترسيعا ما بالتمضي الى دار تيره فيها مومي ترسيعا دم علمي آتاني تيره آخر من مائة ثوب على كل واحد منهم قد احترقت من طول ازمان واسودت واولئك المومي احسادهم مثلنا وعلى طولنا ونبالناهم وصنعوا هائله في زمان ادركهم عليه السلام مبانة لاجسادهم عن الطوفان الذي كان بعد همر في زمان نوح عليه السلام ولم يسقط من احسادهم دم ولا من شعورهم شي وليس فيهم شئ ولا من شعورهم شي ايمن الله واجسادهم كسبو عباد واجسادهم فوهم لا يندرا حدان

وعندهم دواة في سفح جبل اذا وقع الريح عليها انقسمت قسمين ويلقى المركب بين شعبين متقابلين فيثور الريح بينهما ويخرج من كليهما متخالفين فتقلب المركب بمن فيها وقيل أن هذا الموضع غرق فيه فرعون . وأما عجائب هذا البحر فمنها سمكة تزيد على مائتي ذراع تضرب السفينة بذنبها فتغرقها (ومنها) سمكة مقدار ذراع بدنها كبذن السمك ووجهها كوجه اليوم (ومنها) سمكة طولها نحو عشرين ذراعا ومن ظهرها الذيل الجيد وهي تلد كالآدمية وتوضع مثلها (ومنها) سمكة تصاد وتجفف فيبقى لحمها مثل القطن يتخذ منه غزل وينسج منه ثياب فاخرة تسمى تلك الثياب سمكين (ومنها) سمكة على خلقة البقر تلد وتوضع كالبقرة وسمكة عريضة عرضها أميز من طولها يقال لها اليها زور يقارب وزنها قطارا طيبة اللحم والطعم (وسمكة) طولها شبران وطا رأسان رأس في موضع رأس العادة ورأس موضع ذنبها وتسمى الخنجر (وسمك) يقال له الفرس وهو نوع من تحت كلاب الماء في البحر في فمه سبع صفوف أضراس وطوله عشرة أشبار وهو كثير الضرر والأذى .

وخلاصة القول أن العرب أخذوا عن سبقهم وعن معاصريهم التراث الجغرافي الذي وقعوا عليه فنقلوه ولخصوه وشرحوه . ثم انتقلوا الى دور التصحيح والاضافة والابتكار ، فجددوا في هذه النواحي جميعها : في المجالات الرياضية والفلكية والبلدانية وفي الرحلات وكتب الكوزموغرافية . وكان لهذا كله أثر كبير في تطور الفكر العربي شأنه في ذلك شأن نواحي المعرفة الأخرى . وقد اتصل الأوروبيون في العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة بالعرب ، وتأثروا بالكثير الكثير من مآتهم الحضارية والثقافية .

وإذا أخذنا الأدب الجغرافي بشكل خاص وجدنا أن الأمر يدور حول النقاط التالية :

كان اهتمام الأوروبيين في العصور الوسطى منصرفا ، في الدرجة الأولى ، الى الموضوعات الرياضية والفلكية والطبية والفلسفية . ومن هنا كان اهتمام المترجمين بالناحية الرياضية والفلكية من البحوث الجغرافية . وهنا كان الأثر العربي الكبير .

لم يكن ثمة اهتمام جماعي بالأدب العربي ، ولذلك فإن الرحلات العربية (والفارسية) لم تنقل الى اللاتينية أو غيرها من اللغات التي ظهرت في أوروبا في عصر النهضة . أما ما وصل الى الأدب الأوروبي من موضوعات أدبية عربية الأصل فقد انتقل أكثرها بالاحتكاك والتعرف الشخصي ، لا عن طريق الترجمة .

لم يتعرف الأوروبيون الى الجغرافية البلدانية والمسالكية . فلم ينقل شيء من كتب الأوصطخري أو ابن حوقل أو المقدسي ، أو من كتب الجغرافية الادارية والسياسية مثل مؤلفات القلقشندي أو العمري .

عرف الأوروبيون كتب الكوزموغرافية في مطلع العصور الحديثة فنقلوا منها الكثير ، ذلك لأنها كانت مما يحبه جمهوره القراء .

تأثرت أوروبا ببعض الخريط التي رسمها الجغرافيون العرب الأوائل وخريط الأديبسي . لكن لأنهم لم يعرفوا كتب البلدانين فلم يتأثروا بالخريط المرسومة فيها .

على أنه منذ أوائل القرن التاسع عشر انصرف عشرات من العلماء والباحثين والمؤرخين الأوروبيين الى كتب الجغرافية الأخرى—البلدانية والمعجمية والرحلات وما اليها—وأخذوا أنفسهم بدرسها وترجمتها والافادة من المعلومات الكثيرة فيها .

د. نقولا زيادة - بيروت

هرم الجيزة الأكبر كما رسمه الفرناطي

وحجر الزيت قال أرسطو وهو حجر أحمر مشاب بزرقة اذا أدنيت من الزيت طلبه الزيت حتى يدخل فيه وهذا الحجر يوتئ به من سفالة الزنج واذا وقع على ثوب زيت ومر هذا الحجر عليه لم يترك له أثر أصلا . وحجر مغناطيس الخل هو أبيض يسمى الكرك اذا وضع في بقعة فيه اثناء فيه خل انساق الخل اليه ودخل فيه حتى يتوسطه ويغل الخل به ما دام فيه ، من غير سخونة ولا نار .

وحجر الكهريا يجذب القش والتين . والكهريا صمغ شجر الخلنج وقد يتولد في وجه الأرض كالخصى وأجوده المسمى الشمعي لكونه مجزعا ببياض أصم ويلقط القش والرحنة تشبه رائحة الليمون ويسمى مصباح الروم ويوجد بالاندلس وبسواحل البحر تحت الأرض وبالواحات كذلك يوجد قطعا قطعا يجمعه الحراثون .

وخص ابن الوردي بحر القلزم (البحر الأحمر) وعجائبه وغرائبه بفصل جاء فيه قوله :

هذا البحر شعبة من بحر الهند جنوبه بلاد بربر والحبشة وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى ساحله الغربي بلاد اليمن والقلزم اسم لمدينة على ساحله وهو البحر الذي غرق فيه فرعون وهو بحر مظلم وحش لا خير فيه باطنا ولا ظاهرا وفي هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة (فمن جزائره) جزيرة قريبة من ابلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب ليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب ، معاشهم من السمك ويبيتهم السفن المنكسرة ويشحنون الماء والخبز ممن يمر بهم من المسافرين

برنامج التدريب فني أرامكو

يَقُولُ الْمَثَلُ « الْعَمَلُ الْمُتَّفَنُّ لَا بَدِيلَ لَهُ » ، وَإِنْ هَانِ الْعَمَلُ
لَا يَتِمُّ إِلَّا مِنْ قَبْلِ خَيْرٍ ، وَالْخَيْرُ لَا يَتَوَفَّرُ إِلَّا بَعْدَ تَعْلِيمٍ
وَتَدْرِيبٍ وَمُمَارَسَةٍ لِلْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ إِنْجَازَهُ .
وَالصَّنَاعَةُ الْحَدِيثَةُ تَحْتَاجُ إِلَى الْفَنِّينَ الْمَهْرَةِ وَذَوِي
الْكَفَاءَاتِ وَالْجُهْدَةِ فِي تَشْغِيلِ الْعَامِلِ وَالْمَصَانِعِ
وَصِيَانَةِ الْمُنْشآتِ وَالْمَرافِقِ طَبَقًا لِلْضَمِيمَاتِ الْمُهَنْدِسِينَ
فِي كُلِّ تَجَالٍ مِنْ مَجَالَاتِ الْعَمَلِ . وَمَا صُنَاعَةُ الرِّيتِ إِلَّا
إِحْدَى هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ الْمَرْمُوقَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى
الكَثِيرِ مِنَ الْأَيْدِي الْفَنِّيَّةِ وَالْمَهَارَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ .

الأستاذ يوسف صافي يشرح لهذا المتدرب أجزاء
المحرك الكهربائي ويريه كيفية فكّه وتركيبه .





في سبيل اعطاء المتدرجين الخبرة التطبيقية لما تعلموه في الفصول الدراسية يجري اخذهم الى الورش التابعة للشركة ، ويرى هنا فريق منهم يتفقد أحد المولدات الكهربائية .

أقامت أرامكو ، منذ بدأت أعمالها في المملكة ، مراكز وورش التدريب الصناعي في مختلف أماكن عملها لاثاحة فرص الدراسة والتدريب لموظفيها السعوديين . كما زودت هذه المراكز والورش بالمدرسين والمدرسين ، وجهزتها بالمعدات والأدوات اللازمة . وفي سبتمبر عام ١٩٧٠ ، بدأت أرامكو بتطبيق برنامج جديد يدعى « برنامج التدرج » بالإضافة الى البرامج التدريبية الأخرى التي لا تزال مستمرة .

وكلمة التدرج « Apprenticeship » في مفهومها العام ، هي أن يلتحق شاب بمؤسسة ما . بعد الاتفاق مع صاحب العمل . بقصد أن يتعلم الشاب خلال مدة محددة وبصورة أصولية مهنة أو حرفة متوفرة لدى تلك المؤسسة . وقد قامت أرامكو بقبول عدد من الشباب السعوديين ممن أكملوا المرحلة الدراسية الإعدادية - كحد أدنى - بقصد تدريبهم على مختلف الأعمال المتوفرة لديها ، كما خصصت لهم رواتب شهرية أثناء فترة تدريبهم التي قد تستمر مدة ثلاثة أعوام .

يشتمل برنامج التدرج على تعليم مدرسي وتدريب حرفي ، وقد أعد كل منهما ليحقق الغاية المرجوة من هذا البرنامج ، وهي تدريب المتدرج للقيام بعمله على الأوجه الأكمل .

ويحتوي التعليم المدرسي على مواضيع اللغة الانجليزية ، والرياضيات ، والعلوم ، العامة ، والضرب على الآلة الكاتبة . وقد تختلف هذه المقررات بين متدرج وآخر تبعا لنوع الحرفة أو العمل الذي يجري اعداده له .

أما التدريب الحرفي فيشمل تدريب المتدرجين على أعمال الكهرباء والخراطة ، وصيانة الآلات وأجهزة القياس ، ومبادئ الرسم الهندسي وقراءة الخرائط .

وبالإضافة الى التعليم النظري والتدريب الحرفي يتلقى المتدرج تدريبا تطبيقيا على الأعمال التي تتصل اتصالا مباشرا بنوع المهارة التي سيتخصص فيها . وقد يدرب أحيانا على أعمال أخرى لها علاقة بمجال تخصصه ، وذلك بغية استكمال تدريبه بشكل أوفى وعلى نحو أعم ، وليكون لديه المام بما له علاقة بطبيعة عمله .

ويجري تنفيذ هذا البرنامج طبق أنظمة مدروسة تهدف بمرمتها الى تدريب المتدرجين على الوجه الأكمل . فالمتدرجون الذين يتدربون



- ١ - بعض المدرسين يعملون جهاز تروس (Gear) في ورشة الميكانيك التابعة لأرمكو يستعملون عمالاً مخلصين في حصولهم لدرسية .
- ٢ - بعض حواء وجدت صنعها لمعدية بوسعة انراي . برودة هذه الصناعات ونقصها بحجم لبري ادا ريفها . لم تعمل سنة واحدة في الصناعات تكون مقاديرها لينة بري .
- ٣ - اخذت عن ارناء كدنة من الموضوع التي يشتملها بزمج اندرج في أرمكو ..
- ٤ -
- ٥ -





برادة قطعتين من المعدن باليد حتى تنطبقا تماما بزاوية مقدارها ٩٠° بالضبط عمل دقيق جدا ، ويرى هنا الأستاذ « وورن ورت » وهو يفحص عملا قام به أحد المتدرجين .



فريق من المتدرجين يتلقى تدريبا في اللغة الانجليزية بواسطة هذا المعمل الحديث الذي زودت به أرامكو مراكز التدريب الصناعي لديها ..

متدرج ، وفي نهاية عام ١٩٧١ بلغ عدد المتحقين به حوالي ٣٥٠ متدرجا ، أما اليوم ففيه أكثر من ٧٥٠ متدرجا يتلقى معظمهم تدريباً نظرياً وعملياً في مراكز التدريب الصناعي التابعة لأرامكو في كل من الظهران ورأس تنورة . كما أن هناك متدرجين يتلقون تدريباً عملياً في أماكن أخرى حسب نوع المهارات التي سيتخصصون فيها . هذا ويتوقع أن يصبح عدد المتحقين بالبرنامج في نهاية العام الحالي حوالي ١٣٥٠ متدرجا .

ونظراً لهذا الإقبال المتزايد على التدريب والتوسعات الحالية والمرتبقة في صناعة الزيت خلال السنوات القليلة القادمة ، باشرت أرامكو ببناء مركزين جديدين للتدريب الصناعي أحدهما في المبرز بالأحساء ويستوعب مبدئياً ٢٠٠ متدرج ، والآخر في الدمام ، ويستوعب ٣٠٠ متدرج ، وستجري توسعتهما تبعاً للحاجة في المستقبل . وسيشتمل كل من المركزين على فصول للتدريس وورش للتدريب مماثلة لتلك الفصول الموجودة حالياً في الظهران ورأس تنورة . وسيقوم بالعمل فيها عدد من ذوي الخبرة والكفاءة ، ويتوقع أن يبدأ التدريس فيهما في وقت لاحق من هذا العام .

والأعمال التي يتدرب المتدرجون عليها للقيام بها يمكن جمعها في أربعة أنواع رئيسية هي :

- وظائف مشغلين في أعمال الزيت : وهي خاصة بتشغيل مرافق التكرير والفرصة البحرية والانتاج والمعامل وخطوط الأنابيب .
- وظائف حرفية : وتختص بأعمال الصيانة والنقل وغيرها .
- وظائف فنية : وتختص بأعمال الهندسة على مختلف أنواعها وأعمال المختبرات .
- وظائف كتابية : وهي أعمال المحاسبة والأساليب الكتابية ، وخدمات المكاتب وأعمال المستودعات وخدمات السكن وما شاكلها .

وهذه الوظائف والأعمال تتصل اتصالاً وثيقاً بإنتاج الزيت وصناعته أو بالصناعات والأعمال الأخرى التي لها علاقة بالزيت وإنتاجه . وإذا ألقينا نظرة شاملة على الصناعات التي تنشأ في مناطق إنتاج الزيت وتصنيعه فإننا نجد أنها تكاد تكون متداخلة ، من قريب أو بعيد ، يعتمد بعضها على بعض ويكمل بعضها بعضاً .

التدريب بالبرنابج

عندما بدأت أرامكو بتطبيق برنامج التدرج في عام ١٩٧٠ ، التحق به أكثر من مائة

على الأعمال المكتبية مثلاً يقضون نصف نهارهم في مركز التدريب الصناعي حيث يتعلمون المقررات والمواضيع الخاصة بهم . ويقضون النصف الآخر في مختلف إدارات أرامكو مسمماً لكي يتدربوا عملياً على المهارات التي يري إعدادهم لها . أما المتدرجون لي أعمال الصيانة أو الأعمال الزيت فيلتحقون عادة لمدة عامين وورش التدريب الصناعي ، الثالث في التدريب العملي بإشراف من المديرين والرؤساء . وخلال ذلك العام ، قد يتلقى المتدرجون تدريباً نظرياً في أماكن العمل نفسها حيث يقوم بعض ذوي الكفاءة في الأقسام التي يتدرب فيها المتدرجون بشرح الأعمال والأشغال الفنية والحرفية المتعلقة بالمرافق والمعامل لمعرفة العطب أو الخلل وطريقة إصلاحه في أقصر مدة وعلى أكمل وجه .

وقد تتداخل فترات الدراسة والتدريب ، فيدرس المتدرج سنة ، ثم يتلقى التدريب العملي في السنة الثانية ليعاود الدراسة والتدريب في عامه الثالث ، وذلك وفق الجداول والترتيبات وإمكان توفير المكان المناسب للمتدرج حسب نوع المهارة التي يتدرب عليها .



فريق من المتدرجين يقضون أوقات فراغهم في ممارسة لعبة كرة الطاولة في أحد مرافق الترفيه في أرامكو .



طائفة من المتدرجين يتلقون درسا أولياً في الكهرباء ، ويرى الأستاذ حلمي كيلاني وهو يشرح لهم كيفية عمل التوصيلات الكهربائية باستعمال البطاريات الجافة .

المرحلة الدراسية المتوسطة يتلقى حاليا ٥٢٢ رايالا في الشهر خلال السنة الأولى ، ويزداد هذا المخصص كلما أتم المتدرج سنة من التدريب بنجاح . أما المتدرجون الذين أتموا المرحلة الدراسية الثانوية فيمنح الواحد منهم ٧٠٧ ريالاً في الشهر خلال السنة الأولى ويزداد هذا المخصص كلما أتم الواحد منهم سنة من التدريب بنجاح .

الإسكان والنقل

المتدرجون الذين تبعد مساكن اهلهم عن مراكز التدريب مسافة لا تمكنهم من السكن معهم ، يجري اسكانهم بناء على طلب منهم في أماكن سكن مكيفة مخصصة للموظفين العزاب ، وفي هذه الحالة يحسم من مخصصاتهم الشهرية بدل الحجرة المقرر والمشمول بالراتب .

أما من حيث النقل فيسمح للمتدرجين باستعمال وسائل النقل التي تقدمها الشركة لموظفيها يوميا وفي أيام العطل ، وتدفع لهم علاوات انتقال عندما تكون وسائل النقل هذه غير متيسرة .

الإجازات والعناية الطبية

يمنح المتدرج اجازة براتب مدتها ٢٨ يوما عن كل سنة كاملة يقضيها في التدرج . وتحدد الشركة مواعيد الاجازات بما يتفق وسير العمل في البرنامج . كما تقدم الشركة للمتدرجين عناية طبية مجانية في المرافق التي تعينها .

التنظيم الإداري للمتدرجين

يتبع المتدرجون طوال مدة التحاقهم بهذا البرنامج لإدارة التدريب التي تتولى مسؤولية الاشراف على شؤونهم وتوجيههم . وإدارة التدريب هي التي تعني بتدريبهم وتأهيلهم . والمسؤولون فيها يبحثون مع المتدرجين المهن والحرف التي تناسب مؤهلاتهم وقدراتهم آخذين بعين الاعتبار ما يتفق وميولهم على ضوء احتياجات الشركة في المستقبل ، كما يقدمون لهم النصع والمشورة والمساعدة في كل ما يتعلق بتدريبهم وتعليمهم . ويبقى المتدرجون تحت رعاية ادارة التدريب الى ان يتركوا البرنامج أو يلتحقوا بالعمل كموظفين مداومين مع الشركة

ابراهيم أحمد الشنطي
من هيئة التحرير



اللغة الانجليزية ، أحد المقررات الرئيسية التي يتلقاها المتدرجون في مراكز التدريب الصناعي التابعة لأرامكو .



احدى الغرف السكنية المكيفة بالهواء التي توفرها الشركة للمتدرجين ، ويسكن في كل واحدة من هذه الغرف متدرجان . تصوير : عبد الله داغش

شروط الالتحاق بالبرنامج

يشترط في طالب الالتحاق ببرنامج التدرج أن يكون سعودي الجنسية ، ويتراوح عمره بين ١٦ و ٢٤ سنة ، وأن يكون قد أتم المرحلة الدراسية المتوسطة كحد أدنى . كما يشترط في المتقدم أن يجتاز بنجاح اختبارات القبول التي تجريها الشركة .

هذا ، ويوضع برنامج تدريبي لكل متدرج بعد أن يؤخذ بعين الاعتبار رغبته وتحصيله العلمي والعمل الذي سيجري اعداده له ، وحسب حاجة أرامكو من الدرايات المختلفة في الوقت الحاضر والمستقبل . كما يراعى لدى قبول المتدرج مكان اقامة عائلته وقربه من مركز وورشة التدريب الصناعي .

المخصصات

يمنح المتدرجون مخصصات شهرية في مختلف مراحل التدرج . فالمتدرج الذي أنهى

السُّعْرُ الْعَرَبِيُّ وَالْفَتْحُ السُّعْرِيُّ فِي الرَّسَائِلِ

للمراحل الأستاذ محمود غنيم

مكلفين أن يمدوا ما يتمخض عنه المستقبل بما يحتاج إليه من ألفاظ وتراكيب . ولكن هؤلاء القدامى — في لغة الشعر بصفة خاصة — لم تمنعهم قيوده وأوزانه أن يعبروا عن خلجات نفوسهم ، بل عن خلجات نفوسنا نحن ، وما نحس الحاجة إلى التعبير عنه في عصر الذرة وإرتياد الفضاء ، ولا أريد أن أثقل على القارئ ، فأسرد على مسامحة من حكم المتنبي والمعري وغيرهما من مثات الأبيات ما تتمثل به يومياً في مختلف الظروف والمناسبات مما لو نسب إلى شاعر معاصر ما أنكره سامع ولا قارئ .

المعل أول ما يلفت أنظارنا إلى سعة الأفق التي قد يناهز عدد أبياتها المائة على حرف روي واحد . وعلى حين تتعدد القافية في سائر اللغات بتعدد الأبيات . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نرى منهم من لا يقنع بذلك ، فيبني القصيدة على حرفين ، كما نرى في لزوميات أبي العلاء . ويطلق علماء البديع على ذلك اسم « لزوم ما لا يلزم » ومع ذلك فانك لا تكاد تجد أثراً للتكلف في لزوميات أبي العلاء يجعلها تفرق عن شعره في « سقط الزند » (٢) . والمتبع لتصرف قدامى الشعراء في أساليب

فاحشاً يقابله عندنا فقر مدقع ، فما سر هذا ؟ وعلى من تقع تبعته ؟ لا أريد أن أتعجل فألقي بتلك التبعة على عواتق مجامعنا اللغوية ، فنحن لا نشك في أنها استحدثت كثيراً ، وعربت كثيراً من أسماء تلك المسميات ، ولكن الذي لا نشك فيه أن كثيراً من هذا الانتاج لم ير النور ، بل يفتقر إلى الظهور .

ولا أريد أن أطيل الكلام في هذا الموضوع الذي لا يبدو أن يكون مقدمة لما أريد الحديث عنه في شيء من الأسهاب . والذي أريد الحديث عنه هو ما ترمى به لغة الضاد من قصور ، ولا سيما في مجال الشعر بصفة خاصة : أعني تلك الغربة التي حدثت بجماعة من أديباء التجديد إلى الثورة على أوزان الشعر العربي وقوافيه ، فأحلوه من الأولى ، وجردوه من الثانية بحجة أن هذه وتلك أطواق وقيود في أعناق الشعراء تحول بينهم وبين التعبير عن خلجات النفوس وشتى الأحاسيس ..

قد يكون صحيحاً أن العرب القدامى وضعوا عشرات الأسماء لمسمى واحد ، وأغفلوا عشرات المسميات من اسم واحد ، وعذرهم في ذلك واضح ، فهم يعبرون عما يقع تحت حسهم ، ويدور في فلك حياتهم ، وليسوا — بطبيعة الحال —

يحز في النفس أن يدعى العربي — بله الأديب — منا إلى مادبة حافلة بألوان الطعام والشراب ، فينعم من الطعام بما أكل ، ومن الشراب بما علّ ونهل ، ثم هو إذا أراد أن يتحدث عن تلك المادبة التوى عليه الحديث ، وتحيرت على شفثيه العبارات ، لانقطاع الصلة بين ما يريد ، وما وعى من أسماء ألوان الأطعمة المختلفة .

وكم يحز في النفس أن يرتاد الأديب العربي بستاناً تختلف أشجاره ، وتتألق أزهاره ، فينعم بما رأى من جمال ، وما استاف من عير ، ثم هو إذا أراد أن يعبر عما رأى لم يحضره إلا أسماء لا تمت بصلة من الصلات إليه من نحو العرار والنسرير والريحان والأقحوان . ومثل هذا وذاك يقال عندما يشهد الأديب العربي حفلاً موسيقياً (١) يثير وجدانه ، ويشنف آذانه ، فإذا أراد أن يتحدث عن الآلات الموسيقية ما وعى من العيدان والمزاهر والمثالي والمثالث .

ويزيد من أسفنا أن نقرأ في كتب الأدب مثلاً أن أبا العلاء المعري عد للكلب سبعين اسماً . وصدق أبو العلاء ، فان للكلب في العربية ، كما للأسد والفرس والبعير ، ما يناهز هذا العدد من الأسماء ، وهكذا نجد فيما مضى غنى

(١) يلاحظ أن كلمة « الموسيقى » نفسها كلمة يونانية ، وقد وردت فيما بين أيدينا من المعاجم بكسر القاف .
(٢) « سقط الزند » هو ديوان أبي العلاء الذي لم ينهج فيه نهج اللزوميات .

الشعر العربي لا يسهه الا أن يقف مشدوها أمام ترويض القوافي وتطويع الأوزان لما أرادوه من ألوان الافتنان . وما ظنك مثلاً بقصيدة واحدة تقرأ على عدة أوجه ؟ كذلك القصيدة التي مطلعها :

يا مخاطب الدنيا الدنية انها

شرك الردى وقارة الأكدار

دار متى ما أضحكك في يومها

أبكت غدا بعدا لها من دار

غاراتها ما تنقضي وأسيرها

لا يفتدى بجلال الأخطار

فانك تستطيع أن تقرأ هذه الأبيات على

النحو التالي

يا مخاطب الدنيا الدنية

انها شرك الردى

دار متى ما أضحكك

في يومها أبكت غدا

غاراتها ما تنقضي

وأسيرها لا يفتدى

ثم ما ظنك بقصيدة تبلغ أبياتها عشرات ،

مختوم كل بيت فيها بكلمة « الخال » وهي

في كل بيت بمعنى خاص ؟ ويطلق علماء

البيدع على هذا اسم « الجناس الكامل » . أما تلك

القصيدة فهي — على ما أذكر — لشاعر شامي

اسمه بطرس كرامة ، وقد بدأها بقوله :

أمن خدحا الوردي تيمك الخال (٣)

فسح من الأجفان مد معك الخال (٤)؟

وأومض برق من جمها

لعينيك أم من لغرها أومض الخال (٥)؟

مهاة بأنني أفنديها والدى

وان لام عمي الطيب الأصل والخال (٦)

ثم ما ظنك بتلك الأبيات التي تقرأ طردا

وعكسا ؟ وذلك كقول الشاعر :

مودته قدوم لكل هول

وهل كل مودته تدوم

انك تستطيع أن تقرأ هذا البيت من آخره

كما تقروء من أوله ، والبيت من السلامة بحيث

لا تحس فيه أثرا للتكلف . وللحري في مقاماته

ما يشهد له بالبراعة في هذا المضمار ، فقد أورد

أبياتا يلتزم في كل كلمة من كلماتها حرفا بعينه

كحرف السين أو الشين مثلا ، كما أورد أبياتا

أخرى يلتزم فيها أن تكون كل حروفها من

الحروف المعجمة ، وأبياتا يلتزم أن تكون كل

حروفها من الحروف المهملة ، كقوله :

أعدو لحسادك حد السلاح

وأورد الأمثل ورد السماح

وهو بيت — كما ترى — لا نكاد نحس أثر

الصفة فيه . وما يتصل بذلك ما شاع في عهد

المماليك وصدر العصر الحديث من الشعر التاريخي ،

أو الشعر الجملي ، ونعني به الأبيات التي اذا

جمعت أرقام حروفها بحساب الجمل كان

المجموع رقما معينا يدل على سنة معينة تؤرخ

لزواج أو ميلاد أو وفاة . وللمرحوم حفي ناصف

من ذلك الشيء الكثير ، قد عقد صاحب كتاب

« الطراز الموشى في صناعة الانشا » لهذا الباب

فصلا مسها قعد فيه قواعده ، وضبط أصوله .

أعجب ما اتفق لي قراءته من ذلك

ومن أبيات خمسة ، نظمها صاحبها على نحو

معين ، وشفع كل بيت منها برقم خاص بحيث

تصلح تسليق أدبية رياضية في مختلف الأندية

الثقافية ، وذلك بأن يطلب أحد المتدين الى آخر

منهم أن يضم في نفسه حرفا معينا ، ثم

يعرض عليه تلك الأبيات ، مطالبا اياه بتعيين

ما ورد فيه هذا الحرف من تلك الأبيات بيتا كان

أو أكثر ، فاذا كشف المسئول عن ذلك عين له

السائل على الفور ذلك الحرف المضم . وذلك

بحسبة رياضية يسيرة : هي أن رقم الحرف بين

الحروف الأبجدية « أبت ث .. الخ » يساوي

رقم البيت الذي ورد فيه ، فان ورد الحرف

في بيتين جمع رقماهما ، وان وقع في أكثر جمعت

أرقام الأبيات التي ورد فيها ، وكان حاصل

الجمع هو ترتيب الحرف بين الحروف الأبجدية ،

كما سبقت الإشارة واليك بعض هذه الأبيات

مشفوعة بأرقامها :

١ سيد الوسل صفادر الصفا

تاج نور ساطع نسل لؤي

٢ قمر لاح عظيم مشرق

حين لا ذنب تقى من قصي

٤ فهو غيث حيث يجري سقيه

وصلاح حيث يشفي جوف حي

٧ ورسول وملاذ مكرم

كنز در خصه مولاه شي

ولسنا ننكر أن تركيب هذه الأبيات —

وهي تدور حول التصوف والتشيع — لا يخلو

من تهافت ، ولكننا اذا أدخلنا في اعتبارنا هذا

الأساس الرياضي الذي بنيت عليه كانت احدى

الروائع اللغوية .

وما دما يصدد تصرف الشعراء في أساليب

الشعر — أو النظم بعبارة أدق — فلن ننسى ما

اتسعت له آفاقه من نظم القواعد العلمية نظماً

يسر للمتعلم استيعابها ، والاستشهاد به عند

الاعتضاء . وقد لعب بحر الرجز في هذا المضمار

دورا مرموقا بما اتسع له من أنواع الزحاف والعلل

التي تجوز فيه دون غيره . والمتبع لتاريخ

المماليك يجد عصرهم حافلا من ذلك بما يتجاوز

الحصر ، وليس أمر هذه العلوم المنظومة مقصورا

على ألفيات القواعد النحوية التي تعد في مقدمتها

الفية ابن مالك الأندلسي ، بل انها تتجاوز

النحو الى غيره من سائر العلوم كعلم الكلام

والفرائض والفلك وأحكام تجديد القرآن . ووصف

الأرض ، وغير ذلك مما يخطئه العد . وعلى ذكر

وصف الأرض أذكر أنني قرأت لشوقي أرجوزة

جغرافية بدأها بقوله :

أفريقيا قسم من الوجود

أشبه ما يكون بالعنود

وما يصدد الحديث عن ضبط العلوم

بالنظم فلن ننسى ما قدمه الشعر لنفسه

من الخدمات . ونعني بذلك ما نظم في علم العروض

بحوره وقوافيه وزخافاته وعلله وأسبابه وأوتاره .

ومن عجب ما اطلعت عليه في ذلك منظومة

تنظم كل بحر من البحار الستة عشر في بيتين

مختومين بآية قرآنية ، على النحو الآتي :

« طويل » اسي العشاق من ألم الجوى

دعواهم طيب الهوى ما نهى الناهي

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

« وأخو دعواهم ان الحمد لله »

وبعد ، فاني أرجو ألا يفهم القارئ من

مقالي هذا أنني من أنصار التكلف والافتعال ،

أو أنني أحبذ ما قدمت من تلك الأفانين ، وأدعو

الى النسخ على منوالها . معاذ الله ، فاني أومن

بقول أبي الطيب :

أبلغ ما يطلب النجاح به الط

بع وعند التعمق الزلل

وانما سقت هذا الحديث لغرض واحد :

هو أن أبين لهؤلاء الذين يضيّقون ذرعا بقوافي

الشعر وأوزانه أن الشعر مجنى عليه ، وان اتسعت

آفاقها لما وراء أوزانه وقوافيه من ضروب الأفانين

التي ألعنا اليها ، وهي قليل من كثير ، فمن

ضاق ذرعا بقبود الشعر فليلتبس العيب في موهبته

هو ، وفي مقدرة الفينة

طبول

بقلم جاذية صدي



«طبول؟» تدق ، دقا رتيباً .. متصلاً .. منتظماً !

دقاتها أخذت تهدر على قمم التلال والجبال فارتجت أرجاء الغابة !

من كل صوب وحذب وزاوية .. من كل ركن من أركان الغابات ، جاء ذلك الهدير المنحدر .

صوت الطبول زاد حدة ، واصراراً ، وغنفاً ! فتوقف « جادو » عن المضغ ، ورفع وجهه عن نصف ثمرة من « جوز الهند » يمسك بكلا شقيها ويشرب لبنها الحلو . توقف وهالة بيضاء عريضة مرسومة حول قمه ، وقطرات بيضاء لزجة تتساقط على صدره .. ووجهه الأسمر بعينه البراقتين مترقب .. متحفز .. مرفوع الى فوق .. من حيث يأتي ذلك النذير !

هي لحظات تسمر فيها مكانه ، يستمع . ثم اندفع نحو شجرة عملاقة وأحاطها بذراعيه وساقيه . وفي خفة وسهولة .. وفي قفزات سريعة قصيرة شد بدنه خلفه وتسلق الشجرة الى أعلى أطرافها !

وأخذ يصغي بانتباه شديد الى دقات الطبول . ثم هز رأسه بشدة . لا ، لا ! ليس في الأمر فرح ، أو حفل في ضوء القمر . ثم لا ! لم يمت أحد .. ولا انتصر أحد على أسد .. لا - ليس في الأمر شيء من ذلك كله ! الطبول لغتها اليوم غريبة .. تبعث رعدة في الأوصال !

حك « جادو » شعره . لقد علمته أمه لغة الطبول . قالت له أمه انها رسائل تبعث بها قبيلة الى أخرى ، فتبادلان الحديث والأخبار عبر الغابات .. وعبر السهول .. وعبر الصحاري ! من فوق رؤوس الأشجار تقول طبله شيئاً ، فتجيبها طبله جارة بما تريد أن تعرفه : تنبئ بخير .. أو تسأل سؤالا .. أو تدعو الى حفل ..

أو تعلن حرباً .. أو تستغيث وتستنجد بهمة الشجعان للدفاع عنها في محنة ! حتى ولادة الطفل لها دقات خاصة مدوية تجلجل ، فيها هوذا رجل قد انضم الى جماعة المحاربين ! ولكن لا ! لا شيء من ذلك القبيل اليوم . لغة الطبول اليوم مختلفة جداً فهي مختلطة ومتشابكة ومضطربة : مزيج من دقات الحرب ، ودقات الفرح ، ودقات النصر ، ودقات ضوء القمر ! طبول تدوي دقاتها بلا انقطاع وبلا تردد وبلا توقف !

فابتسم الصبي . ابتسم في زهو ونفس صدره يملؤه هواء كثيراً . ورفع رأسه يشمخ به ويلوح بيد في ثقل ووقار وهو يتصور نفسه زعيم القبيلة الكبير ! ودقات الطبول هي تحية له ! فللحال عض « جادو » شفته التي كانت قبل لحظة تتراقص لأنه كان يبكي . وجفف دموعه بطول ذراعه . طبعاً ، الزعيم الكبير لا يبكي أبداً ! إذن هو لن يبكي بعد اليوم ولن يغضب من أخته بعد اليوم ويهرب الى الغابة ويبكي كالطفل ! أجل ، كالطفل ! هكذا وصفته أخته ساخرة لأنه ارتقى في حضن جدته ، يخفي وجهه في صدرها من خوف ملأه من الظلام ! فسخرت منه أخته وأطلقت عليه تلك الصفة التي تثيره وتبكيه . وعندما شكاهها لجدته الحبيبة الحنون التي كانت ذراعها دائماً ملجأه كلما خاف أو نام - جدته هذه زجرته بدورها وقالت له : « صدقت أختك - أنتخاف ؟ أيخاف رجل عمره ثماني سنوات ؟ »

فأطلقت أخته ضحكة عالية ونخرته كأنما داس على شوكة ! فانفجر باكياً وانطلق يجري الى قلب الغابة ! وفي الغابة ، بكى ما شاء له البكاء ، وتمرغ على الأرض ودق رأسه بقبضتيه ، وتقافز يذب

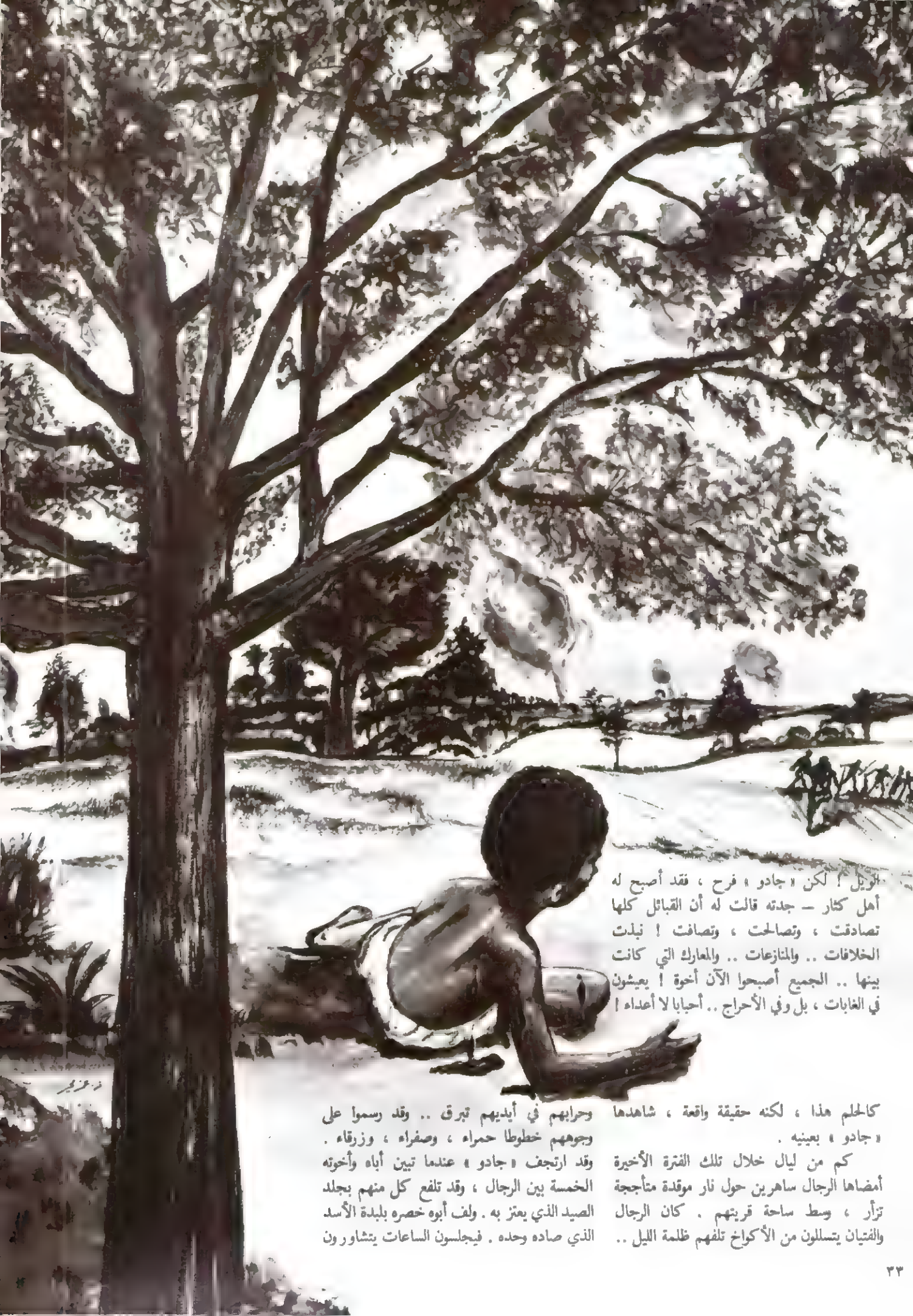
بقدميه .. ينفث غليله ! ولكن عندما هدأ وتنبه للطبول تدق حوله وتدق .. قفز يلقي عنه طراوة الطفولة كأنها رداء قديم لم يعد صالحاً . لقد ضحكت أخته منه مرة أخرى غير هذه ، وصاحت به كعادتها .

— « طفل يا « جادو » أنت - متى تكبر ؟ » وقد صاح ذلك اليوم ودمه يغلي : — « بل كبرت أنا - كبرت ! انظروا ! » وقفز وسط لمة النسوة يستعرض بروزا في أعلى ذراعه . فزاد ضحك أخته منه . فاندفع تلك المرة أيضاً الى قلب الغابة يصرخ ويبكي ويركل الهواء - يركله .. ويلكمه .. وينطحه ! والطبول .. الطبول في الغابة تدوي . وتدوي ! .. وكأنها تهدر غاضبة ، وتقول له : لا يصح .. لا يصح !

أبداً ! لن يحدث ذلك منه أبداً بعد اليوم - أبداً !

« جادو » وهو يسط قامته الى أقصى طولها . سوف يكبر .. ويكبر .. ويحمي بلاده .. ويحمي أهله .. ويحمي جيرانه كلهم . ويحمي قبيلته كلها من « الدخيل » ! ذلك « الدخيل » الذي يهدد بلاده .. وغاباته .. وقبيلته .. بل القبائل كلها ! « الدخيل » الذي حكمت له عنه جدته قائلة :

— « ولنا من ذلك الدخيل الذي أتى من بلاده البعيدة ليستعبدنا ، لا ليعلمنا وينير عقولنا بمدنيته كما يدعي ! هذا الدخيل لم يحل بنا ثقيلاً وبلا دعوة منا فحسب ، بل هو يطاردنا .. ويطرودنا .. ويدفعنا أمامه بعيداً بعيداً كلما توغل في غاباتها ! .. والآن يريد أن ينتزع منا أراضي جدودنا .. وغاباتنا .. وأنهارنا .. وأشجارنا ! » فشعر « جادو » بدمه في عروقه يغلي - من يجرواً أن يفعل هذا كله به وبأهله ؟ الويل له -



الويل ! لكن « جادو » فرح ، فقد أصبح له
أهل كبار - جدته قالت له أن القبائل كلها
تصادقت ، وتصلحت ، وتصافت ! نذت
الخلاقات .. والمتازعات .. والمعارك التي كانت
بينها .. الجميع أصبحوا الآن أخوة ! يعيشون
في الغابات ، بل وفي الأحراج .. أحبابا لا أعداء !

وحرايهم في أيديهم تبرق .. وقد رسموا على
وجوههم خطوطا حمراء ، وصفراء ، وزرقاء .
وقد ارتجف « جادو » عندما تبين أباه وأخوته
الخمسة بين الرجال ، وقد تلفع كل منهم بجلد
الصيد الذي يعتز به . ولف أبوه خصره بلبدة الأسد
الذي صاده وحده . فيجلسون الساعات يتشاورون

كالهلم هذا ، لكنه حقيقة واقعة ، شاهدها
« جادو » بعينه .

كم من ليال خلال تلك الفترة الأخيرة
أمضاها الرجال ساهرين حول نار موقدة متأججة
تزأر ، وسط ساحة قريتهم . كان الرجال
والفتيان يتسللون من الأكواخ تلفهم ظلمة الليل ..

ويتشاورون ثم ينطلقون يرقصون ويرقصون ! يتقافزون ويرقصون .. يطلقون صرخات عالية مدوية .. يهزون رؤوسهم بعنف .. يلجحون بأذرعهم الأنثوسية حاملة الحراب ، كأنما يهددون عدوا خفيا ويرقصون .. ! الليل ذاب في الرقص .. والأرض دمدمت بديبب الأرجل في الرقص .. والسماء في صمت أطفأت قناديلها واحدا تلو الآخر ، والرقص العنيف تحتها لم يتوقف لا يتوقف !

جدته العجوز تضحك هائلة وتقول : **ولكانت** « عشنا والله وشفنا هذا اليوم - يوم الحرب ! »

فتقافز الصبي ، وهو وحده في الغابة ، على أنغام الصوت الذي رضعه مع لبن أمه - صوت الطبول ، الطبول ! واقتلع عودا من شجرة صغيرة لم تقاومه كثيرا ورفعه عاليا ينوح به ! ثم اندفع يذب بقدميه راقصا رقصة الحرب هو أيضا ! وهو يلف ويدور حول نفسه !

وفجأة ، ارتمى على الأرض يلصق خده بها ، وأمسك أنفاسه بصفي وقع أقدام ! أجل ، وقع أقدام كثيرة مقبلة ! ما العمل ؟ أقدام لا حصر لها تدب بثقل كأنما هي لقطع من القليلة ، والقرية بعيدة ، وهو قد توغل في هروبه ، والطبول حوله تدق .. وتدق ..

اعمل « جادو » فكره بسرعة . وفجأة وثب من رقده واندفع نحو أعلى شجرة أمامه تتناول بعروشها فوق رؤوس الأشجار الأخرى . وأخذ يتسلقها حتى إذا أخفته أوراقها العريضة العليا ، ارتمى منهوك القوى ، ثم لف ذراعيه حول أول غصن لقيه من أغصانها ونظر الى أسفل ليرى ما يجري ويدور !

ف رأى فرقة من الرجال قد تبلغ عددها المائتين أو أكثر وجوههم محتقة ويحملون أسلحة رهيبة مصقولة . فاستراحوا تحت شجرته وجلسوا يتشاورون . فخاف « جادو » ولكنه اطمأن عندما ملح بينهم رجلا من عشيرته . رجلا طويلا عريضا ، يلتمع جلده وقد دهنه بزيت « جوز الهند » . ففرح « جادو » وكاد يهبط إليهم ، لولا أن سمع كلاما قاله ابن قومه هذا .

- كلام جعل قلب « جادو » الصغير يدق .. يدق ، في تجاوب مع طبول الغابة ! فمط عتقه بين أوراق الشجرة ، يصغي !

كان أحد هؤلاء الدخلاء يتحدث بلغة الغابة الى الرجل ابن الغابات . ثم ينقل كلامه الى زملائه وهكذا . ولم يلبث الرجل الدخيل أن

أخرج من عبه كيس نقود كبيرا وهزه تحت أنف الرجل فجلبجت فضة كثيرة داخله . فهزه مرة أخرى وهو يسأله في اصرار :

- « قل ، قل : ما هي شارة البدء في الحرب ؟ هيه ، قل ، فتصبح هذه الفضة كلها لك ! ماذا اتفق عليه قومك ؟ قل ، وخذ الفضة ! »

فتردد الرجل لحظة ثم غمغم وهو يرمق الفضة بجشع :

- « نار ! نار عالية ! »

فانكمش « جادو » فوق غصن الشجرة التي يختبئ فوقها . وأغمض عينيه بقوة وفي استماتة كأنهما بابان يخشى أن يفر قلبه المذعور خلال باب منهما ! وصرت أسنانه - الخائن ، الخائن ! آه لو كانت معه مطواة جدته التي تذبح بها الدجاج ! آه لو كانت ..

هنا دوت في الجو قرعة رهيبة ، تبعثها صرخة ملتاعة ! وعندما دفع « جادو » برأسه بين ورق الشجرة ، رأى الرجل الخائن منبطحا على وجهه غارقا في دمه !

وضحك الدخيل الذي قتله ، ورفع يده عاليا بكيس الفضة ثم دسه في عبه ، يعيده مكانه ثانية ، وقال :

- « غافل ! أظن أننا نأمن له بعد الآن ؟ ! ولم يتردد « جادو » ، ولا هو تمهل .

احتضن جذع الشجرة وفي خفة .. في دراية .. في قفزات سريعة شد بدنه خلفه وتسلق رأسها وخدشته الأغصان العليا الرفيعة الحادة .. وعطلته عن المضي في الصعود الى أعلى الشجرة .. خشخت الأغصان ، وتشابكت ، وعاندته ، وقاومته ، وصارت تنقصف تحت ثقله وهو يصعد .. ويصعد .. لا يبطئ ولا يتوقف . لم يهتم بالخدوش التي أحدثتها بطول فخذه ، وذراعيه ، وخديه ! ظل يصعد .. ويصعد .. ! حتى تمايل في خطورة وهو معلق كالعصفور على غصن رفيع . فبسط ساقيه وهو يلفهما حول الغصن الدقيق ، يوزع ثقله ، وترك يديه حرتين ، ومداه تحت حزام من جلد الغزال يلفه حول خصره ، أخرج « جادو » بضعة أعواد ثقاب ضمن أشياء أخرى يحتفظ بها هناك في حرص شديد كأنها كنوز ثمينة : كف تمساح .. حصي ملون .. قطعة مرآة ! وحك عود الثقاب الأول بجذع الشجرة ، فلما اشتعل ، تلاحقت ، أنفاسه وهو يقربه من الأغصان العليا الدقيقة التي لسعتها شمس الغابات الحارقة وجففتها .

وعندما اشتعل رأس الشجرة وتراقصت ألسنة النار فوقها عاليا ، انثى « جادو » على عود ثقاب آخر يشعله ، ثم آخر .. وآخر ..

فعلت صرخات الدخلاء الذين فوجئوا بالنار تزار فوق رؤوسهم .

وعندما أطل « جادو » من مخبئه ، وجد عشرات البنادق مصوبة نحوه .. الى أعلى .. فوق الرؤوس ! وصادوه .

وهوى .

وارتمى « جادو » أمام الدخلاء المتحلقين حوله ، ودمه ينزف في لون الورد ، زاه ، تنتشره الأرض . وغمغم الصبي لنفسه بصوت خافت وعيناه مغمضتان :

- « لم أعد طفلا يا أختي ! » وحاول أن يبتسم وهو يضيف :

- « أنا رجل ، ومحارب كبير الآن ، يا أختي ! » وفجأة ، شقت الجو صرخة فرع أطلقها الدخلاء وارتمشت أقدامهم التي كانت هي كل ما يراه « جادو » منهم وهو ملقى على الأرض . أقدامهم هذه دب فيها اضطراب ، بل ذعر ، بل جنون .

فجاهد « جادو » وفتح جفنيه الثقيلين ليرى سبب صراخ الدخلاء على أرض بلاده . وأطل طرف لسانه بين شفثيه ، يحاول أن يربطهما ولكن حلقة كان قد جف . فزحف بيده المهشمة ودمه خط عريض متعرج مرسوم بضغط بدنه الصغير على التراب .

ثم استمات وغضب جفنيه غصبا كي ينفثها ، وانفتحا .

وانشق وجه « جادو » عن ابتسامة عريضة هائلة مستبشرة ! وسها عن جفاف حلقة .. وعن آلام بدنه . وحتى عن دمه الذي يسيل ، وتسمرت عيناه هناك .. بعيدا .. فوق قمم الجبال العالية !

فقد رأى النيران تشتعل فوقها .. واحدة وراء الأخرى - شرقا .. وغربا .. وشمالا .. وجنوبا .. ! رأى ألسنة النيران تهب .. تتناول السماء كأنها عمالقة قد انتفضت غاضبة .. تزار وتهدد ، وتتوعد !

لقد أثمرت اشارته ! أثمرت تضحيته ! فابتسم الصبي وتنهذ في سعادة وأغمض عينيه بارتياح ورضا . ثم تدرج رأسه على كتفه . وذهب .

... والطبول .. والطبول على حالها .. تدق نائرة غاضبة

■

جادبية صدلي - القاهرة

« لقد أسعدني وأنا أطلع عدد ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ (يونية ١٩٧٣) من مجلة « قافلة الزيت » ، بما فيه من بحوث مكثرة ضمنتها دفتاه ، أن أطلع على بحث بقلم الأستاذ عبد الهادي الفضلي ، تحت عنوان « في علم العروض .. نقد واقتراح » .
والحق أنه بحث قيم ، قدم فيه صاحبه الجليل اقتراحات مهمة من شأنها تيسير دراسة العروض ، واختصار أو الغاء كثير من المصطلحات القديمة التي وضعها العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ولم تعد تناسب العصر الحديث الذي غدا كل شيء فيه يسير بسرعة تسبق الصوت .
بيد أن ثمة واحدا من تلك الاقتراحات كان يعوزه — فيما أظن — مزيد من انعام النظر ، وأعني بهذا الاقتراح ما أشار اليه الكاتب الفاضل من طلب الغاء نظام الأسباب والأوتاد والفواصل والاستعاضة عنه بنظام الحركة والسكون . فبدلا من القول أن (فعولن) مؤلفة من وتد مجمع وهو (فعو) وسبب خفيف وهو (لن) ، نقول أنها مؤلفة من متحركين فساكن فمتحرك فساكن .
ان اعتبار نظام التفعيلة قائما — مباشرة — على أساس الحركة والسكون في غيبة من تلك المصطلحات ، ليعتبر — بالفعل — تسهيلا وتيسيرا كبيرين . غير أن انعام النظر والتوسل في طلب مزيد من التيسير ليرشدنا الى اعتماد نظام أكثر بساطة ويسرا . وخصوصا على المبتدئين من الدارسين .
والنظام الذي أعنيه هو أن نعتبر التفعيلة مبنية على أساس المقطع الطويل والمقطع القصير لا الحركة والسكون . ويمكن القول أن المقطع الطويل هو أي حرف تبعه مد أو سكون مثل (با ، بو ، بي ، بل ، كن ، هر) وأن المقطع القصير هي أي متحرك — سواء بالفتح أو الضم أو الكسر غير متبوع بمد أو سكون . وعلى ضوء هذا النظام ، بدلا من القول أن (فعولن) تتألف من وتد مجموع ، وهو (فعو) وسبب خفيف وهو (لن) — على الطريقة الخليلية — وكذلك بدلا من القول أنها تتألف من متحركين فساكن فمتحرك فساكن — وفق اقتراح صاحب البحث — نقول بكل بساطة ان (فعولن) تتألف من مقطع قصير ومقطعين طويلين . ولو رمزنا للمقطع القصير بحلقة (٥) وللمقطع الطويل بشرطة (—) لكانت (فعولن) تقطع عروضا هكذا (٥—) .
ولقد تبينت نظام المقاطع هذا في كتابي « مبادئ العروض » ، والذي طبعته ونشرته مكتبة الاستقلال في عمان ، الأردن في عامي ١٩٦٦ ، ١٩٧٢ ولاحظت استساعة الطلبة له ، وأدركت سهولته لدى التطبيق ، سواء بالنسبة لسرعة استيعابه من قبل الدارسين أو في الاقتصاد بالرموز عند التقطيع .
وختاما ، لست أرى في اقتراحي هذا ما ينقص من أهمية البحث القيم الذي حفزني الى كتابة هذه السطور ، وأن نقدي لا يقلل من كونه دراسة رائدة هادفة تستحق كل ثناء وتقدير

سميح أبو مغلي
كلية دار العلوم — القاهرة

« لقد اطلعت على مجلتكم الغراء « قافلة الزيت » ورأيت ما جاء بها في عددها الصادر في شهر ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ (مايو—يونية ١٩٧٣) كما رأيت ما نشر على غلاف العدد المذكور وعلى صفحاتها من ص—٢٥ الى ص—٣٤ ، التي شملت عددا من الصور التي تعكس جانبا من نشاطات الكشاف العربي السعودي والخدمات الجليلة التي يؤديها تجاه دينه ومليكه ووطنه .
ففي الصفحة الخامسة والعشرين من العدد نفسه وتحت عنوان « الحركة الكشفية في المملكة العربية السعودية وردت الفقرة التالية : «عرفت المملكة العربية السعودية النشاط الكشفي المنظم في عام ١٣٦٣ عندما تكونت الفرقة الكشفية الأولى في مدرسة تحضير البعثات الثانوية والمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة وأنه على أثرها انتشرت الحركة الكشفية في بعض مناطق المملكة » .
وأظن أن كاتب المقال نسي أن أول فرقة كشفية ظهرت بالمملكة العربية السعودية هي فرقة كشافة المدرسة الصولتية في عام ١٣٦٢ هـ حينما قامت بأول عرض كشفى لها أمام جلالة المغفور له الملك عبد العزيز وكان ذلك بأذن من مسدير المعارف آنذاك السيد طاهر الدباغ وبأمر من وزير الدفاع والطيران سمو الأمير منصور غفر الله له .
وأكبر شاهد على ما أقول ، الصورة المنشورة على هذه الصفحة التي توضح بأن أول فرقة كشفية ظهرت بالمملكة هي تلك التي أسهمت في تأسيسها ، وقد شاركت الكشافة لباسهم تشجيعا لهم ، وأنا أبدو سادس شخص من اليمين في الصف الثاني من الأمام . وشكرا



عبد الله حوجة — مكة المكرمة

أخبار الكتب

* صدر الجزء الأول من ديوان الشاعر العراقي الراحل معروف الرصافي مشروحا بقلم صديقه وصفي عمره الأستاذ مصطفى علي عن مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعلام العراقية .

وتصدر عن هذه المديرية نفسها المجموعة الكاملة لشعر الشاعر القروي رشيد سليم الخوري والأستاذ محمد مهدي الجواهري .

* أحدث دواوين الشاعر السعودي الكبير الأستاذ حسن عبد الله القرشي عنوانه « زحام الأشواق » وقد صدر عن دار المعارف .

* « مصرع غرناطة » هو موضوع المسرحية الشعرية الجديدة التي صدرت عن دار عويدات للشاعر السوري الكبير الأستاذ عدنان مردم بك ، وفيها صور الشاعر مأساة خروج العرب من اسبانيا والظروف التي مهدت لجلالته . وتقع هذه المسرحية الشعرية في أربعة فصول ، وهي سادس مسرحية شعرية يصدرها مردم بك الذي يكاد يتفرغ الآن للمسرح الشعري ويعد من أبرز أعلامه .

* صدر بأشراف وتحقيق الشاعر الكبير الأستاذ محمد مصطفى الماحي كتاب « مهرجان الشعر التاسع » وفيه سجل لما أنشدته الشعراء في مهرجان الشعر في بغداد عام ١٩٦٩ . وحصيلته نحو مئة قصيدة . وللكتاب مقدمة بقلم الأستاذ الماحي وكلمتان للسيد عبد الله سلوم السامرائي والشاعر الكبير الراحل الأستاذ محمود غنيم . وصدر الكتاب عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

* من دواوين الشعر الجديدة التي صدرت مؤخرًا ديوان « اني أرفض » للشاعر الأستاذ عبد الرحمن الخنيسي وقد صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، وديوان « اللحمة الحية » للأستاذ صالح القرماوي وقد صدر عن الدار التونسية للنشر .

* من بين الدراسات الأدبية التي صدرت أخيرا هذه الطائفة كتاب ضخم في ثلاثة أجزاء عن « حب ابن أبي ربيعة » للدكتور جبرائيل جبور طبع بيروت ، و « نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة » جمع وتيوب الدكتورين جميل سعيد وداود سالم وساعدت على نشره جامعة بغداد ، و « شخصيات من الأدب اليوناني المعاصر » للدكتور نعيم عطية ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « مسرح الدم والدموع : دراسة في الميلودراما العالمية والمصرية » للدكتور علي الراعي ونشر مطبوعات مجلة الجديد .

* تحت الطبع كتاب « جنابة أحمد أمين على الأدب » للعلامة الراحل الدكتور زكي مبارك بتحقيق وتعليق الأستاذ حسين رشيد خريس .

* حقق الأستاذ فاروق سعد كتاب « طوق احمامة في الألفة والآلاف » لابن حزم الأندلسي ونشرته دار مكتبة الحياة ببيروت . وما يذكر أنه سبق للشاعر الأستاذ حسن كامل الصيرفي أن حقق هذه المخطوطة ونشرها نشرًا ممتازًا .

* ومن كتب التراث التي صدرت أخيرا « ديوان ابن دهيل الجمعي » رواية أبي عمرو الشيباني وقد حققه الأستاذ عبد العظيم عبد المحسن وكتب مقدمته الأستاذ السيد زهير غازي زاهد وطبع في مطبعة القضاء بالنجف .

* صدر كتابان عن اعلام تونس هما « تراجم الاعلام » للعلامة الراحل الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور وفيه ٢٨ ترجمة لمفكرين وأعلام ، وقد نشر عن الدار التونسية للنشر . وكذلك كتاب « الحلل الأندلسية في الأخبار التونسية » وقد صدر منه جزء أول في ثلاثة أقسام بقلم الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، وهو من نشر الدار التونسية .

* ومن كتب السير والتراجم الجديدة « الفرزدق » للدكتور ممدوح حقي وقد صدر في سلسلة نوايع الفكر العربي لدار المعارف ، و « الكميت » للدكتور محمد حاج حسين وقد صدر عن دار الأجيال بدمشق ، و « أندريه مالرو » وهو الفيلسوف الفرنسي المعاصر - وقد ترجم له وعرض آراءه الأستاذ فؤاد كامل وصدر عن دار المعارف .

* من الكتب الاسلامية الجديدة « الحج في الاسلام : كيفيته وأهدافه » للشيخ محمد الفقي بمقدمة لفصيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، والحلقة السابعة من مجموعة « سلسلة الثقافة الاسلامية » بأشراف الأستاذ محمد عبد الله السمان ، و « في رحاب بيت الله الحرام ومناسك الحج » للأستاذ ممدوح محمد حسين ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « الله أحد » للأستاذ محمد عبد الرحمن عوض ونشر المجلس الأعلى .

* كتاب « العرب والهند في عهد الرسالة » للقاضي الهندي أظهر مباركيوري ترجمه الى العربية الأستاذ عبد العزيز عزت عبد الجليل ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* الأديب الشاعر الراحل علي أحمد باكثير صدرت له سبع مسرحيات اسلامية في كتاب واحد بعنوان

« من فوق سبع سماوات » ونشرت في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف .

* ومن الروايات التي صدرت أخيرا « على طريق الحياة » لسلون ولحن ترجمة الأديبة فردوس الشيخ ونشر دار الكتاب الجديد ، و « نصيبي من الأفق » رواية الأستاذ عبد القادر بن الشيخ ونشر الدار التونسية للنشر ، و « شاهد اثبات » لأجاتا كريسبي وترجمة الأستاذ عمر عبد العزيز ونشر دار الكتاب الجديد .

وفي مجلد واحد صدرت ترجمة لمسرحي أنطون تشيخوف الموسومتين « شيطان الغابة » و « الخال فانيا » وقد قام بهذه الترجمة الأستاذ محمد حسن التيتي وراجعها الأستاذ حسن عبد المقصود حسن وصدرت عن وزارة الاعلام في الكويت .

* صدر الجزء الأول من الترجمة العربية لكتاب « الفصن الذهبي » لفريرز وقد أعدها الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* « محاضرات في العلاقات الاقتصادية الدولية » عنوان كتاب للدكتور فوزي منصور صدر عن دار النهضة العربية .

* صدر للأستاذ محمود علي صالح كتاب طريف عنوانه « الماس : وصف وتقييم » ، وقد نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب .

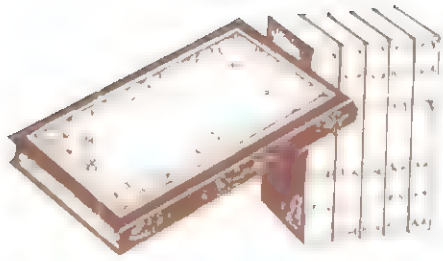
* يشرف الأديب الطبيب الدكتور سعيد عبده على سلسلة جديدة من الكتب الصحية تعرف « بمكتبة الصحة » وقد صدر أول كتاب فيها بعنوان « الدخان والتدخين » للدكتور عبد العزيز أحمد شرف وصدرت عن دار المعارف .

* أصدر المحامي الأستاذ عبد القادر عياش المتفرغ للدراسات الخاصة بتراث وادي الزور ووادي الفرات كتابا جديدا من كتب المأثورات عنوانه « حكايات من وادي الفرات » طبعته مطابع ألف باء الأديب بدمشق .

* هواة التصوير أصدر لهم الدكتور محمد مصطفى حماد كتاب « تكنولوجيا التصوير » وقد نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* « الطريق الى المدائن » عنوان كتاب جديد للأستاذ أحمد عادل كمال ، وقد صدر عن دار التفائس ببيروت .

* يتم تنسيق الموسوعة التي كان يعدها الأديب الراحل الأستاذ يعقوب العودات المكنى بالبدوي الملقب عن « أعلام الفكر والأدب في فلسطين » لتصدر تباعا بمقدمات لكل جزء من أجزائها



كتب مهتدة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

« العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين الماليك » للأستاذ علي بن حسين السليمان ، وهو مؤلف يبحث في عمق وتوسع العلاقات السياسية ، والدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، التي كانت قائمة بين مصر والحجاز في عصر سلاطين الماليك في القرن الثامن الهجري . وقد اختار المؤلف هذا البحث موضوعاً لأطروحته التي نال بها درجة « الماجستير » في الآداب ، وقد صدر الكتاب بمقدمة للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب في جامعة القاهرة ، أشاد فيها بالجهد الذي بذله الأستاذ علي حسين السليمان في تأليف كتابه هذا .. والكتاب مزود بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلف بالإضافة إلى فهارس بالأعلام والشعوب والأمم والفرق والقبائل والأماكن والمصطلحات الواردة فيه ، وهي مرتبة ترتيباً هجائياً . ويقع الكتاب في نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير ، وقد نشرته الشركة المتحدة للنشر والتوزيع بالقاهرة ..

« الباحث » وهي مجلة للأبحاث العامة تصدرها وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي بالرباط مرتين في السنة .. وتشمل هذه المجلة الفكرية مجموعة من الدراسات والأبحاث والأحداث الفكرية والثقافية والتعليمية الرامية إلى نشر الثقافة وترويع الفكر عن طريق البحث بالمنهجية العلمية المطلوبة . وهي تقع في نحو ٤٢٠ صفحة من الورق الصقيل .. وقد تم طبعها في مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية بمدينة فاس في المغرب .

« أمثال العوام في الأندلس » لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجاجي القرطبي (٦١٧-٦٩٤) ، وقد اضطلع بتحقيقه وشرحه ومقارنته الدكتور محمد بن شريفة .. ويتضمن هذا الكتاب ٢١٥٣ مثلاً من الأمثال العامة المنسوبة إلى عدد من الأعلام البارزين في الأندلس خلال القرن السابع الهجري .. وهو مزود بفهرس مرتب للأسماء والأعلام الواردة

أعدها الأستاذ محمد عبد الغني حسن والأديبان الراحلان عادل الفضبان وسامي الكيالي وسواهم من أدباء الضاد .

« وما يذكر أن للعلامة الأستاذ عجاج نويهض فصولاً مهيبة عن أعلام الفكر في فلسطين يعمل على تنقيحها في كتاب متعدد الأجزاء .

« كما أن للأديب الفلسطيني الدكتور كامل السوافيري كتاباً مخطوطاً عن « الأدب العربي المعاصر في فلسطين » على نسق كتابي « الأدب العربي المعاصر في مصر » للدكتور شوقي صيف ، و « الأدب العربي المعاصر في سورية » للأديب الراحل سامي الكيالي .

« كتابان من تجارب القضاء ظهرا أخيراً هما « الغفران الجديد » من تأليف الأستاذ محمد سرجية رئيس محكمة استئناف حلب وطبع سورية ، و « من أخطاء القضاء » للأستاذ حسن الجدوي المحامي وقد صدر في سلسلة اقرأ لدار المعارف .

« من كتب التربية والفلسفة الحديثة صدرت هذه الطائفة : « التربية والتقدم » للدكتور سعد مرسي أحمد نشر عالم الكتب ، و « الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان » للدكتور يحيى هويري ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « المشاكل الفلسفية للعلوم النووية » هانز بروج وترجمة الأستاذ أحمد مستجير ومراجعة الأستاذ محمد عبد المقصود النادي ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

« في المحاسبة الحديثة ظهر كتابان هما : « مقدمة إلى علوم الكمبيوتر » للأستاذ عبد الرحمن بصيلة ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « الروابط الحديثة بين المحاسبة المالية والمحاسبة القومية » للأستاذ محمد رشاد محمود ونشر مكتبة الانجلو المصرية .

« أرمينيا في التاريخ العربي » دراسة مطولة طبعت في حلب للأستاذ أديب السيد .

« ترجم الأستاذ عبد الحميد عبد الغني كتاب جيمس آفري جويس الموسوم « قصة التعاون الدولي » ونشرته دار النهضة العربية .

« ظهر الجزء الثالث من كتاب « التطور في الفنون » لتوماس مونرو مترجماً بأقلام الدكتور محمد علي أبو درة والأستاذين عبد العزيز توفيق جاويد ولويس أسكندر ومراجعا بقلم الأستاذ أحمد نجيب هاشم ، ومنشوراً عن الهيئة العامة للكتاب .

« ومن مجموعات الأقاصيص التي صدرت أخيراً : « مطاردة نصف الليل » للأستاذ يوسف الشاروني وهي من منشورات سلسلة « اقرأ » لدار المعارف و « اللقاء » للأديبة نجوى قوار فوج وقد نشرتها دار النهار

في الأمثال مع الشرح والاستدلال لكل منها . والكتاب من منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ..

« أصول التنظيم والأساليب » للأستاذ محمد شاكراً عصفور ، خبير التنظيم والأساليب في معهد الإدارة العامة بالرياض .. وهو مؤلف يعرض لنشاط التنظيم والأساليب ومسائل الإدارة ، وللإجراءات العامة والخاصة المتعلقة بالتنظيم الإداري والأجهزة الإدارية الجديدة والقائمة منها . ويشتمل الكتاب على اثني عشر فصلاً يتناول المؤلف فيها التعريف بالتنظيم والأساليب ، والتطور التاريخي للتنظيم والأساليب في البلاد الغربية والعربية ، ومفهوم التنظيم الإداري والبحث التنظيمي ، والإجراءات وأهدافها وفوائدها وعيوبها ، وخطا سير الإجراءات ، وتبسيط الأعمال ، وخريطة توزيع الأعمال وكيفية أعدادها والأغراض التي تستخدم فيها ، كما يتناول أيضاً مفهوم تصميم المكتب وأهداف دراسة تصميمه ومفهوم قياس العمل ، والتطور التاريخي للالات المكتبية ثم قواعد تصميم النماذج ومراقبتها وتوحيدها وعلاقتها بالإجراءات . ويقع الكتاب في ٢٥٣ صفحة من الورق الصقيل ، وقد تم طبعه في عمان بالأردن ..

« الجزء الأول من « ديوان ذي الرمة » ، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي ، ورواية الإمام أبي العباس تغلب .. وقد حققه وقدم له الدكتور عبد القدوس أبو صالح .. وهو من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ..

« العدد الأول من مجلة « مرآة العلوم » وهي نشرة سنوية تصدرها اللجنة الثقافية والفنية بكلية العلوم بالرياض ، ويشارك في تحرير مواضيعها العلمية والفنية والثقافية نخبة من الرابطة العامة لطلاب الكلية .. وقد طبعت بمطابع الرياض ..

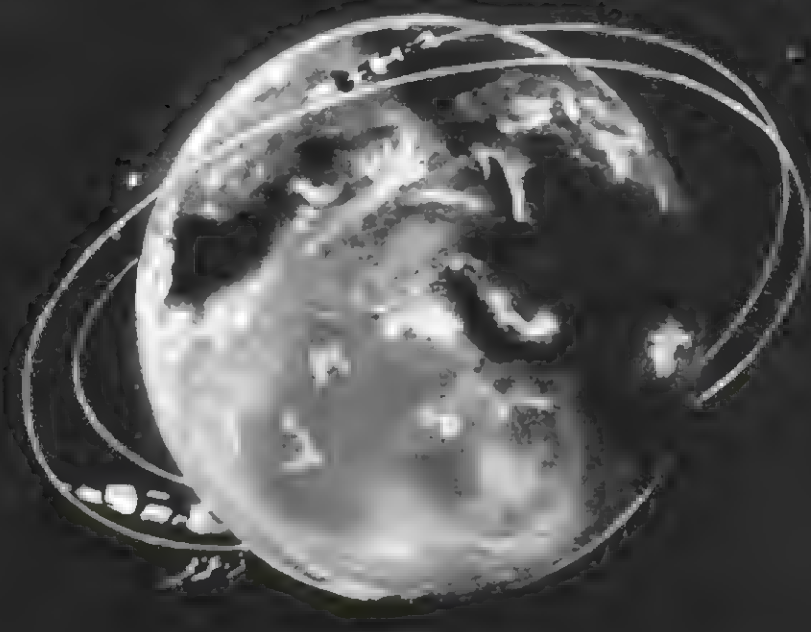
« الجزء الأول من مختارات من « الشعر النبطي المعاصر » للأستاذ عاشق عيسى الهذال .. ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من قصائد الشعر النبطي المعاصر لنخبة من شعراء هذا اللون من القصيد

القرآن الكريم

ورحلات

الفضاء

بقلم الدكتور عبد المحسن صالح



حوله تنتشر ، ولكن لا يجب أن نحكم على الأشياء بالنظر ، فكثيرا ما تخدعنا أبصارنا فلا ترى الحقيقة كما يجب أن تكون .. اننا نرى الكواكب والنجوم معلقة في السماء على هيئة بقع ضوئية صغيرة ومزدحمة ، وما هي بصغيرة ولا مزدحمة ، ولا هي كذلك تنتشر بغير نظام ظاهر ، ولا هي واقفة ساكنة .. بل هي نظم سماوية هائلة ، فيها حركة وتناقص وضخامة ، « وكل في فلك يسبحون » .. ان القصور ليس فيها ، ولكنه كامن في عيوننا : « الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

نمود اذن الى الذين قاموا برحلات الى الفضاء وصعدوا الى القمر ، والى الذين يقولون على القرآن بما ليس فيه ، والى بعض العلماء الذين خرجوا بتصريحات لم تشف خليل الناس الذين ذهبوا اليهم يستوضحونهم الحقيقة فيما خرجت به بعض الصحف عليهم من فتنة تريد أن تنال من إيمانهم ،

والنجاس الذي وقف عائقا في سبيل رحلات رواد الفضاء الى القمر ؟ أو لم يذهبوا اليه ويعودوا الى الأرض سالمين ؟ .. أو لا يعد هذا انتصارا مينا في السفر الى الفضاء ؟ .. لماذا يقول القرآن « فلا تنتصرون » ، وقد انتصرنا ؟ .. الى آخر هذه الترهات والأباطيل التي يريدون بها التشكيك على غير بيئة ولا هدى ، وكأنهم لا يأخذون منه الا ظاهر القول .

والغريب أن هذا الهجوم الساذج قد جاز على بعض الناس ، وتشكك البعض الآخر في امكان صعود الانسان الى القمر والهبوط على سطحه . اذ كيف يصعد الرواد الى القمر وهو قابع هناك مع النجوم في السماء ؟

والناس في حيرتهم معلورون الى حد ما ، لأن عيونهم لا تستطيع أن توضح لهم ما في السماء من عظام الأمور ، ولو تجلت الحقيقة للعيون ، لوقف البشر خاشعين مبهورين من جلال ما يرقبون ، ومن روعة ما يشهدون . واضح أن القمر في السماء ، كما تراه العين للهولة الأولى ، ويجوار القمر نجوم

سوف يبقى القرآن الكريم كتابا خالدا « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .. مهما يتقول عليه المتقولون ، ويهاجمه الكارهون المضللون .. فبالحق قد جاء ، وبالهدى قد نزل ، ليكون دينا ودينا ، يهدي به الله من يشاء .

نقول قولنا هذا بعد أن استغل بعض أعداء الاسلام والقرآن آية من آياته البينات ، واتهموها بما ليس فيها ، وشككوا في مضمونها ، نتيجة لبعض الانتصارات العلمية التي حققها الانسان في رحلاته الى الفضاء ، وقالوا فيما قالوا : ان كتاب المسلمين المقدس قد حاد عن جادة الصواب ، لأنه ذكر صراحة أن الانسان لا يمكن أن ينتصر في رحلته الى الفضاء ، ولا أن يصعد الى السماء ! ولقد كان دليلهم على ذلك في آية كريمة تقول : « يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصرون » .. فأين هو الشواظ من النار

ولقد زادت هذه التصريحات الأمور تعقيدا ، فقال بعضهم : ان القرآن ليس ضد العلم وليس ضد رحلات الفضاء ، بدليل قوله تعالى : « فانفلخوا لا تنتفلخوا الا بسلطان » ولقد نفذ الانسان بسلطان العلم .. هكذا صرح العلماء باختصار ، ولكن .. ماذا عن تكملة الآية الكريمة « يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ؟ .. هذا ما لم يتعرض له العلماء بالشرح والتحليل . وباجتهاد مني أقول أن الله عز وجل ربما عني بقوله ذلك أن الانسان لن ينجح في اربثاد الفضاء مهما أوتي من علم وقدرات وامكانيات ، ولو تخطى حدوده لراح في خبر كان ، وعندئذ ستكون سفينته الفضائية بمثابة قبره وحلده !

ف يتساءل البعض هنا بدهشة : أو ليس هذا الكلام مناقضا للإنجازات العلمية التي حققها الانسان في رحلاته الى الفضاء ؟ والجواب : هل نظن أن الانسان كلما صعد الى الفضاء وآب ، أو كلما ذهب الى القمر وعاد ، يعني أنه سوف ينتصر على الفضاء ، ويتجول فيه كما يشاء ؟ .. ثم أي فضاء هذا الذي نجح في غزوه الانسان ؟

لو أننا قرأنا قرآنا الكريم قراءة الباحث المدقق المتعمق في أصول الأشياء ، لوصلنا الى المغزى العميق الذي تنطوي عليه هذه الآية الكريمة ، وهذا لن يتجلى لنا الا اذا كنا ملمين ببعض الأسس العلمية التي أصبحت سمة ظاهرة من سمات عصرنا هذا .

ان المعنى العميق الكامن في الآية الكريمة يتركز في كلمة واحدة ، فيها فصل الخطاب ، تلك هي كلمة « أقطار » . فما هي أقطار السماوات ؟ .. ما حدودها ؟ .. وماذا يعني الوصول الى القمر أو كل كواكب المجموعة الشمسية بالنسبة لها ؟ .. وما معنى الفضاء كما يراه العلم ؟ .. الى آخر هذه الأسئلة التي لا يزال العلماء فيها حائرين ، وفي مضمونها تائهين ..

القمر الذي وصل اليه الانسان لا شك أنه بعيد ، فهو يقع من أرضنا على مسافة ٢٤٠ ألف ميل ، وهي بمعايير مسافاتنا الأرضية كبيرة ، ولكنها بمعايير المسافات الكونية ليست شيئا مذكورا ، ولا في أقطار السماوات أمرا كبيرا . وحتى لا تتهب العقول في ضخامة هذا الفضاء العظيم ، دعنا نضع لذلك نموذجا مبسطا يقربنا من الحقيقة ، فنفترض أن كل مليون ميل من المسافات الكونية قد انكسرت لتصبح قدما واحدا .. عندئذ يصبح قمرا على بعد ثلث شبر من الأرض ، أو بالتحديد سبعة سنتيمترات ونصف ، ثم يأتي كوكب الزهرة ليكون بمثابة الجار الذي يبعد عنا ٢٥ قدما ، والمريخ ٣٥ قدما ، وزحل ثلث ميل .. أي في الحي المجاور في الفضاء ، و « بلوتو » ، آخر كواكب المجموعة الشمسية وأبعدنا عنا ، على بعد ثلثي ميل .. أي في الحي الذي بعده ، ثم علينا أن نسرع الخطى ، لأن المشوار بعد ذلك طويل ، ولأننا لن نجد الا النجوم ، أقربها إلينا - على نموذجنا المصغر - يبعد عنا خمسة آلاف ميل ! وهي في الواقع على مسافة ٢٦ مليون مليون ميل ! ! .. أي أبعد من المسافة التي تفصل بيننا وبين القمر بأكثر من بليون مرة !

ق أخذت هذه السنتيمترات السبعة أو المال والجهد والوقت والعرق والتطور في المعدات والأجهزة الى غير ذلك الشيء الكثير جدا . فالصاروخ الذي استخدم في ارسال الرواد الى القمر بلغ (١٠٨) أمتار طولا ، و ٣٠٠ طن وزنا ، ولقد دفعت هذه الكتلة الجبارة خمس

نفاثات ضخمة .. كل نفاث فيها كان يستهلك من الوقود قدر ما تستهلكه ألف سيارة وهي تنطلق بأقصى سرعتها ، ولقد حرق الصاروخ حوالي ألفي طن من الوقود في المرحلة الأولى التي لم تستغرق أكثر من دقيقتين ونصف .

لقد ذكرنا هذه النبذة القصيرة عن ضخامة صاروخ القمر ، ليتبين لنا أن الأمور ليست سهلة ميسورة لكي نتخطى هذه السنتيمترات الثمانية .. ولكي نخطو الخطوات التالية الى جارنا المريخ أو الزهرة فلا بد من توفر امكانيات أكبر ، وجهود أعظم ، وطاقات أضخم ، وعلم أعمق .

لنقارن الآن - باختصار شديد - امكانيات الرحلات الى الكواكب ، ثم نخرج بعدها على النجوم .

ان الوصول الى القمر والرجوع منه الى كوكبنا بسلام لا يستغرق الا أياما تعد على أصابع اليد الواحدة ، في حين أن المريخ - أقرب الكواكب إلينا بعد كوكب الزهرة - يحتاج الى ستة شهور ذهابا ، وأكثر قليلا في العودة (حوالي ٢٠٠ يوم) أي أن الرحلة اليه تستغرق أكثر من عام ، ولهذا فان سفينة المريخ الفضائية ستكون أضخم حجما ، وأكثر اتساعا ، وأثقل وزنا ، وهي بذلك تحتاج الى قوة دافعة أكبر ، ولا بد أن يتوصل الانسان الى تشييد ترسانة فضائية تدور حول الأرض ، لتقوم بتزويد السفن المتجهة الى الكواكب بالوقود والمعدات وما شابه ذلك ، ثم تستقبل الرواد العائدين ، وتعيدهم الى الأرض .

هذا عن المريخ ، أو ذاك الجار الذي يبعد عن كوكبنا ٣٥ قدما على نموذجنا ، أو ٣٥ مليوناً من الأميال في الواقع ، ولكي يصل الانسان الى الكواكب الأخرى الأبعد مدى ، فلا بد من استعدادات أضخم وأعظم ، والواقع أن خطط رحلات كواكب المجموعة الشمسية محسوبة ومقدرة من الآن ، وهي ما زالت حبرا على ورق ، فأخر كوكب من كواكب المجموعة الشمسية يبعد عنا حوالي ٣٧٠٠ مليون ميل ، ولكي يصل الانسان الى هذا الكوكب وهو ينطلق

نحوه بسرعة ٣٨ ألف ميل في الساعة (بالمقارنة إلى ٢٥ ألف ميل في الساعة إلى القمر) فانه سيصل إليه بعد ٤٧ عاما ، ومثلها وزيادة في العودة !
هذا اذن عن عامل الزمن ، ودعك من ضخامة سفينة الفضاء وما ستحمل في جوفها من رواد كثيرين مجهزين بكل ما يحتاجون اليه في رحلة تستغرق قرنا من الزمان ، ودعك أيضا من هذا التيه الفضائي الذي فيه يعيشون ، والعزلة عن العوالم الأخرى ، ودعك أيضا من المفاجآت والأخطار غير المتوقعة ، ودعك من أن أي خطأ — حتى ولو كان طفيفا — قد يؤدي إلى كارثة .. فلو أن سفينة الفضاء قد زادت سرعتها مقدار قدم واحدة عن المعدل المحدد لها وهو ٢٥ ألف قدم في الثانية ، فإن هذه السفينة المتجهة إلى القمر مثلا ستبعد عن هدفها بمائة ميل ، وعن المريخ بعشرين ألف ميل ، وعن الكواكب الأخرى الأبعد مدى بمئات الألوف من الأميال !

أضف إلى ذلك أن سفن الفضاء تتجه إلى أجرام سماوية ليست ثابتة في مكانها ، بل هي في حركة دائمة وسريعة .. ثم أنها في رحلتها تتعرض لقوى رهيبية قد تؤثر في مسارها .. فالشمس تجذب ، والكواكب تجذب ، والأقمار تجذب ، ولا بد أن يكون كل هذا مدرسا بدقة تامة .. وبالاختصار فهناك آلاف المشاكل التي تتطلب حلا وتخطيطا قبل أن يقدم الانسان على السفر إلى الكواكب البعيدة المدى . وهذا — ولا شك — سوف يستنزف من عمره أجيالا ..

يتجول الانسان في المستقبل بين كواكب عائلته الشمسية التي تفصلها عن بعضها عشرات ومئات وآلاف الملايين من الأميال ، ولكن ليس معنى ذلك أنه قد جاب أقطار السماوات ، أو غزا نهاية المحيط الفضائي ، الذي لا يعلم مدى اتساعه الا الله سبحانه وتعالى ، فأقطار السماوات التي يتحدث عنها القرآن الكريم شيء ، والتجول في المجموعة الشمسية شيء آخر. لأن من يتجول في فضاءنا المحلي الذي تسكنه كواكبنا ضمن مجموعتنا الشمسية ، كمن يتجول في دروب مدينة صغيرة ..

ولكن ماذا بعد كواكب المجموعة الشمسية ؟ .. وهل يستطيع الانسان أن يذهب إلى أجرام سماوية أبعد مدى ؟ .. أعني هل يمكن أن يتجول في نسبة ضئيلة من أبعاد هذه الأقطار .. أقطار السماوات ؟
ليس أمامنا في الواقع بعد كواكبنا الا النجوم ، وأن أقرب نجم إلينا — بعد شمسنا — يبعد عنا بمقدار أربع سنوات وثلث سنة ضوئية .. علما بأن السنة الضوئية تساوي حوالي ٦ مليون مليون ميل !

هذا عن أقرب نجم ، وماذا عن أبعد نجم ؟ لنكن أكثر تحديدا فنقول : أي نجم نقصد ؟ .. هل نعني به ذلك الذي يعيش معنا في « جزيرتنا » الكونية ، أو ذلك الذي يقطن « الجزر » الأخرى التي تنتشر في المحيط الفضائي الهائل ؟ .. ثم ماذا نعني بالجزيرة الفضائية التي يريد الانسان أن يصل إلى نجومها ؟

الفضاء بمثابة محيط واسع ، لا تحده الأبصار ، ولا تحده كذلك المراصد الفلكية التي ترصد بعدساتها بعض هذه الأكوان التي تمتد حولنا لآلاف الملايين من السنوات الضوئية ، ولا يستوعبه صاحب أعظم خيال . فلعلقلنا حدود ، كما لعلونا وحواصنا الأخرى حدود لا تستطيع أن تتعدها . ومع ذلك دعنا نعرض لجزيرة صغيرة ، والوصف هنا نسبي ، من ملايين الجزر التي تنتشر في هذا المحيط الفضائي الهائل .. ولتكن هذه الجزيرة هي مجرتنا ، لأن المجرة مجموعة أو نظام مستقل من النجوم ، كما كانت شمسنا وكواكبها نظاما آخر مستقلا عن باقي النجوم أو الشمس التي تسكن معها في مجرتنا .

لقد قدر العلماء أن مجرتنا تحتوي على ما بين مائة ألف مليون ومائتي ألف مليون نجم أو شمس .. وهذا يعني أنها مكدسة بعدد هائل جدا من النجوم ، تراها عيوننا متقاربة لا يفصل بينها الا عدة أشبار أو عدة أمتار ، ومع ذلك فإن الذين قاموا برصدها يقولون : ان كل نجم أو شمس يبعد عن جاره ملايين الملايين من الأميال . بيتنا وبين أقرب نجم — كما ذكرنا — ٤٣ سنة

ضوئية ، والذي بعده يقع منا على مسافة ٦,١ سنة ضوئية ، والذي بعده على مسافة ٨,٧ سنة ضوئية . وهكذا تقدر المسافات بين النجوم بالسنوات الضوئية ، في حين أننا « نجو » بصواريخنا بين كواكب المجموعة الشمسية التي تقدر مسافاتها بالدقائق والساعات .. فبيتنا وبين الشمس مسافة ٨,٣ دقيقة ضوئية (أي حوالي ٩٣ مليون ميل) ، ويفصلنا عن المريخ ثلاث دقائق ضوئية ، وعن « بلوتو » أبعد كوكب في المجموعة الشمسية خمس ساعات وثلث ساعة ضوئية .. أما القمر فيبعد عنا ثانية وثلث ثانية ضوئية .. قارن هذا بأربع سنوات وثلث سنة ضوئية التي تفصلنا عن أقرب نجم إلينا بعد الشمس ! وماذا اذن عن أبعد نجم ؟

نقصد طبعاً أبعد نجم في مجرتنا ، ولا شأن لنا بنجوم المجرات الأخرى التي تبعد عنا آلاف الملايين من السنوات الضوئية !

قطر مجرتنا يبلغ نحو مائة ألف سنة ضوئية ، وسمكها نحو عشرة آلاف سنة ضوئية .. فلو قارنا قطر المجرة بقطر المجموعة الشمسية الذي لا يزيد على ١١ ساعة ضوئية ، أدركنا كم هي ضئيلة أقطار الفراغات التي تدور فيها كواكبنا مع شمسها بالنسبة لمجرة قطرها مائة ألف سنة ضوئية ، ودعك أيضا من مقارنة ذلك بقطر مدار القمر حول أرضنا الذي لا يتجاوز ثلاث ثوان ضوئية لا غير ، وبها ظننا أن الانسان قد غزا الفضاء ، وجاب أقطار السماء !!

لقد بدأنا نستشق « عيب » الأقطار .. أقطار السماوات التي وردت في الآية الكريمة ، فإذا كان قطر مجرتنا التي نسكن في جزء جد ضئيل من تكوينها والذي يبلغ مائة ألف سنة ضوئية (حوالي ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل) .. فما بالنا بأقطار السماوات التي لا يعلم مداها الا الله عز وجل .

وأيا كانت الأرقام ، فلا شك أنها لا تعني شيئا بالنسبة لعلقلنا القاصرة عن استيعاب هذا الخضم الهائل من الفضاء الذي تنتشر فيه ملايين الملايين من الجزر أو المجرات .. كل

مجرة معزولة عن الأخرى بملايين السنوات الضوئية .. وهكذا لا بد أن نتخبط في عظمة الأرقام التي ينعكس مغزاها على عظمة السماوات وما حوت .

ولكن دعنا نقول أن الانسان قد يصل الى نجوم مجرتنا بعد أن يتعدى كواكب المجموعة الشمسية .. ولكي يصلها فانه لن يعتمد بطبيعة الحال على سرعة الصواريخ التي تنطلق الى القمر أو الكواكب السيارة ، فهذه صواريخ لن تنفع في أداء مثل هذه المهمة . وهناك صواريخ قيد التطوير تندفع بالطاقة النووية أو الكهربائية أو البلازما . وأكبر قوة دافعة قدرها العلماء لمثل هذه الصواريخ الجبارة الحديثة ستصل الى ٢٠٠ ألف ميل في الساعة ، أي أنها تستطيع أن تقطع المسافة بين الأرض والقمر في ٧٢ دقيقة ، ولكنها تحتاج للوصول الى أقرب نجم في داخل حدود مجرتنا الى ١٥ ألف عام .

هذا عن أقرب نجم ، أما عن أبعد نجم يسكن في حافة مجرتنا أو جزيرتنا الكونية فلن يصل اليه صاروحتنا الذي ينطلق بسرعة ٢٠٠ ألف ميل في الساعة الا بعد ٢٥٠ مليون عام !!

ونفترض جدلاً أن السفينة قد صنعت وجُهزت وانطلقت الى أقرب نجم في مجرتنا ، ولكن لسوء حظ روادها لم يجدوا حوله كواكب كالتي في مجموعتنا الشمسية ليهبطوا عليها (وهم لا يستطيعون أن يهبطوا على النجم ، والا لتحولوا الى غازات) عندئذ قد يتجهون الى النجم الذي بعده ، ولن يصلوا اليه الا بعد مرور ٧٠٠٠ عام أخرى ، والذي بعده بعد مرور ٨٠٠٠ عام تالية .. وهكذا ، وقد لا يجدون لهم في المجرة ملجأ اليه يلجأون ، وبه يلوذون ، فتكون سفينتهم هي قبرهم .

هل يعني هذا أن الانسان لن يترك مجموعته الشمسية الى النجوم الأخرى في مجرتنا ؟ لن نقفل الباب ، ودعنا أيضاً نأمل وتفاعل ونفترض جدلاً أن الانسان قد يتوصل—بعد أجيال كثيرة—الى تطوير صواريخه لتنتقل بسرعة قريبة من سرعة الضوء ، حتى تسعفنا في غزو نجوم مجرتنا .. عندئذ ستقابلنا أمور ما كانت

لنتخطر لنا على بال .. فالسفينة الفضائية التي تنطلق بسرعة ٨٦٪ من سرعة الضوء (أي بسرعة ١٦٠ ألف ميل في الثانية الواحدة !) قد تصطدم رغماً عنها بحبيبات دقيقة شاردة في الفضاء ، فلو أنها اصطدمت بحبيبة لا يزيد وزنها على جزء واحد من ألف جزء من ألف جزء من الجرام ، فإن قوة الصدمة ستكون أعنف مما تتصوره عقول البشر ، وستؤدي الى تبخير عشرة أطنان من هيكل السفينة في التو واللحظة !

ودعنا أيضاً نفترض أن السفينة التي تنطلق بهذه السرعة الخيالية لم تقابل مع أية حبيبة أو شهاب ، رغم أننا لا نعرف ماذا يمكن أن تحويه هذه الفراغات الهائلة من أخطار ، الا أنها ستشق طريقها — رغماً عنها — في فراغ تنطلق فيه جسيمات ذرية شاردة هنا وهناك ، وسوف تستقبل على كل سنتيمتر مربع من سطحها عشرة آلاف مليون جسيم في كل لحظة ، وستكون الجسيمات — بالنسبة للسرعة الرهيبة — بمثابة رصاصات ذرية دقيقة وعنيفة ، فتفتك بهيكل السفينة من هول الصدمات ، فتحولها الى اشعاعات قاتلة كالتي تتواجد في جوف المفاعلات الذرية ، وربما كان هذا هو الجحيم والشاوط الرهيب الذي يعنيه الله بقوله « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ، وبه تصبح السفينة مقبرة لروادها .

أضف الى ذلك أن من العلماء من يحسب ويقدر بالمعادلات والأرقام قدرة الانسان على ارتياد الفضاء البعيد ، فتراهم يقولون : لكي نرسل سفينة فضائية تتجول بين نجوم مجرتنا — ولا شأن لنا بنجوم المجرات الأخرى التي تفصلنا عنها عشرات ومئات وآلاف الملايين من السنوات الضوئية—فلا بد أن تكون هذه السفينة على هيئة مدينة متحركة بسرعة قريبة من سرعة الضوء ، ولا بد أن تحتوي على كل ما يلزم سكانها من تموين ومهمات وأجهزة ومعدات .. الخ ، تكفيهم لعشرات الألوف من السنوات ، ولا بد أن يتناسلوا ويتكاثروا في هذه الرحلة الطويلة ولا بد أن يكون هناك متسع للجميع ، ولكي

يكون ذلك ، فلا بد أن يكون وزن السفينة المسكونة مائة ألف طن على أقل تقدير ، ولكي ندفعها بهذه السرعة الرهيبة ، فانه يلزمنا بناء صواريخ مجهزة بأفضل أنواع الوقود — صلبا كان أو سائلا— ولهذا ستصل كتلة هذه الصواريخ الكونية الى حوالي ١٠٠٠٠ مليون مليون طن ! .. وهكذا يحسب العلماء ويقدررون على الورق .. أما التنفيذ فشيء آخر مختلف تماماً ، ويكفي أن تعلم أن كتلة الأرض التي نعيش عليها تبلغ ٦٠٠٠ مليون مليون طن .. أي أن وزن الصواريخ بوقودها سيكون أكبر من وزن الأرض بمرتين ونصف مرة ! .. وفي هذا الكفاية نقوم يفقهون !

أضف الى ذلك أن من يريد أن يتطوع للذهاب الى نجوم مجرتنا ، فعليه أن يعلم أنه لن يعود الى أرضه ، فليست هناك فرصة ولا أمل في العودة ، وقد يأتيه الحنين الى الاتصال « بأمه » الأرض ، وليس أمامه الا أن يبعث باشارات موجية تنطلق بسرعة الضوء ، ولكن أهل الأرض لن يستقبلوا اشارة رواد الفضاء الا بعد مئات وآلاف السنين ، وعندما يردون عليها لكي تصل اليهم ، فلن تصل الا بعد مرور هذا الزمن الطويل .. ولن يعرف أهل الأرض وقتها مكانهم ولا مصيرهم .. وقد تكون المجرة لخدمهم ونواهم الأخير !

هذه إذن حدودنا ، وهذه هي حدود مجرتنا أو جزيرتنا الكونية الصغيرة بالنسبة لأقطار السماوات التي لا نعرف لها بداية ولا نهاية .. لأن السماوات أعظم ، وأقطارها أوسع مما تتخيله العقول .

واذا أردت معرفة نهايتها ، فعليك أن تتعمق في مغزى هذه الآية الكريمة : « يا معشر الجن والاناس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تغفلون الا بسلطان ، فأبأي آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » صدق الله العظيم ■

د. عبد المحسن صالح — القاهرة

الأديب

ربيع



للشاعر الياس قنصل

في ظله عمري وكان رطيباً ؟
 اتكبد الحرمان والتعذيباً
 أسمى الخنان مؤاسياً وطيباً
 ثوباً من الرغد الطريف قشيباً
 مما ابتغوه لبناً وخصيباً
 لا تستحق اللوم والتأنيباً
 حتى وإن هانت تعد ذنوباً
 ألفت حولي من يحوم رقيباً
 أو أن أعزّي التاعس المغلوباً
 وتركته ذاتي معدماً منكوباً
 قلب يبيل على الطروس وجباً
 حقر النهى والعلم والتهذيباً
 وجعلت عيشي بالكفاف جدياً
 تصلي قلوب الحاسدين هيباً
 خاض الحياة كوارثاً وخطوباً
 جيشاً يكرّ على العداة رهيباً
 حملت من عبء الشعور ضروباً
 متصبراً وعرفتته تجريباً
 ما اخترت إلا أن أكون أديباً
 الياس قنصل - الاربعين

ماذا استغدت من اليراع وقد ذوى
 قضيت أعوامي على جمر الغضا
 وسهرت أمنيح من كبت آماله
 ما جد مثلي اللابسون لفوزهم
 لكنهم حصدوا وكان حصادهم
 زلاتهم - مهما جنوا - مفقورة
 أما أنا فمزالقي مرصودة
 مهما ابتعدت عن العيون تسترا
 حظي من الأيام أن ألقى العنا
 اني منحت الناس خير مواهبني
 في كل سيفر دبجته يراعني
 لم يكف اني كنت مغمز جاهل
 فظلمت سعيي بالقناعة والرضى
 قالوا ستحرز في البيان مكانة
 فأجبت ما جدوى الفخار لبائس
 كالطفل يلهو بالخصى ويظننها
 اني على نفسي جيت عمدا
 لكنني رغم الذي قاسيته
 لو قيل لي كن ما تشاء على الثرى

صناعة شعوم الابنة

الشعوم التي تشاهدها
في المحلات التجارية،
والتي تأخذناظربك
بالوانها الزاهية وأشكالها
المتعددة، هي نتاج صناعة
نزدهرة، يؤلف البترول
العصر الأساسي في صناعتها.





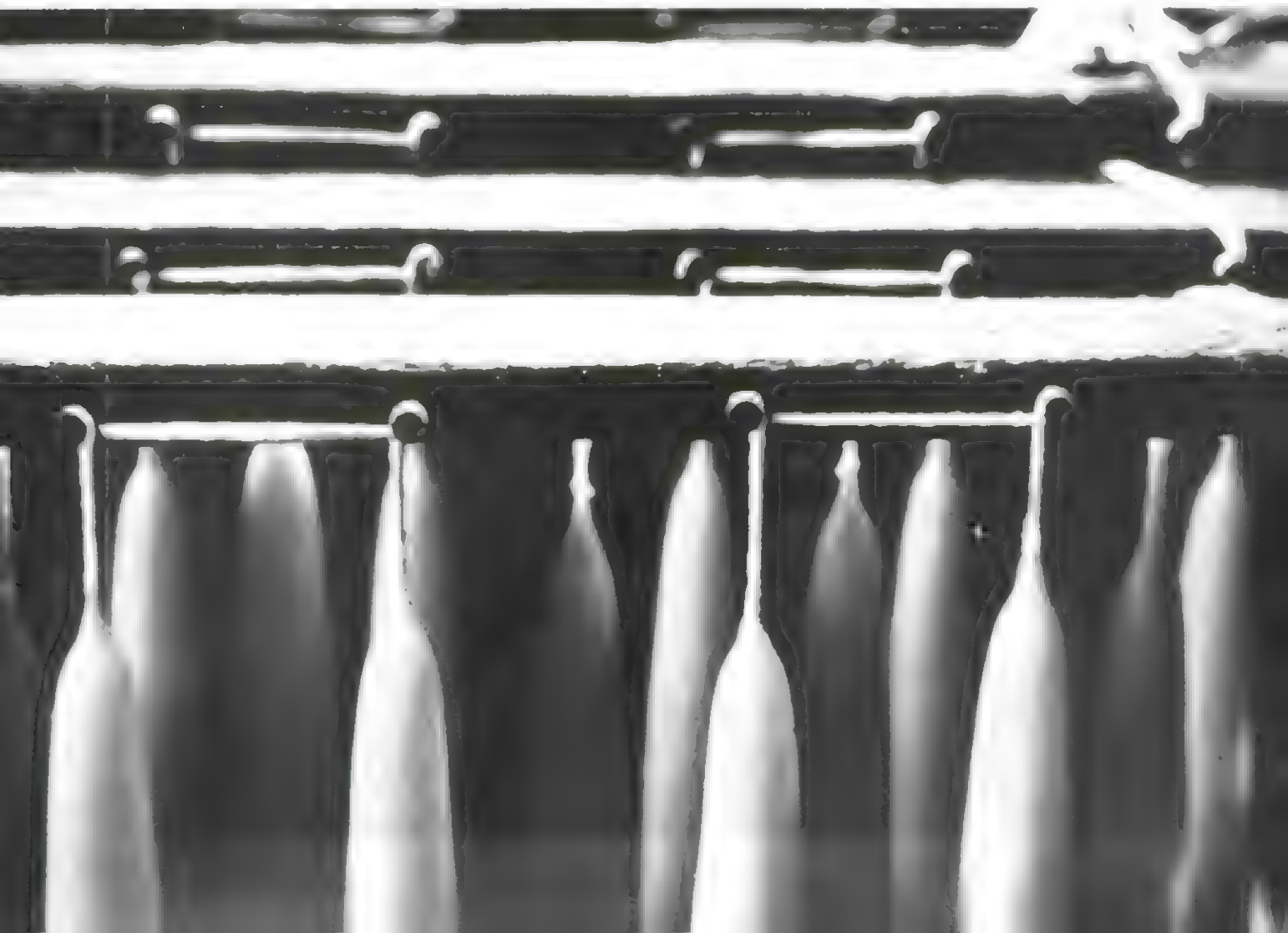
عرف الانسان المادة الشمعية منذ آلاف السنين . بيد أن تاريخ صناعة شموع الانارة بكتفه بعض الغموض الذي لم يكشف النقاب عنه بعد . غير أن عددا من الباحثين الاجتماعيين استطاعوا بدراساتهم المتواصلة أن يتتبعوا تاريخ صنع شموع الانارة حتى خلال عصر ما قبل الميلاد . ويحدثنا هؤلاء الباحثون أن صناعة الشموع كانت إحدى المهارات المنزلية المألوفة التي كانت تمارسها ربات البيوت . كصناعة الصابون . وعمل الخبز . وغير ذلك من الأعمال التي كانت المرأة في الأزمان الغابرة تحرص على القيام بها ، وتوفيرها لأسرتها على ما فيها من مشقة وعناء . ويقص علينا المعينون بتاريخ صناعة شموع الانارة نتما عن الطريقة البدائية التي كانت تستخدمها المرأة . وهي ان دلت على شيء فاما تدل على ما كانت تتحلى به من الاناة والصبر وقوة الاحتمال .

(١) حيور يعيش في أمريكا الشمعية

في مطلع القرن السابع عشر الميلادي وطئت أقدام المهاجرين الأول من الانجليز ما يعرف اليوم بولاية «نيوانجلاند» في الولايات المتحدة الأمريكية . فكانت المرأة في هذه البلاد الجديدة البكر تصنع شموعها بطريقة الغمس «Dipping» . فحينما كان زوجها يعود من رحلات الصيد بغزال أو دب أو موط (١) «Moose» ربل مكنز الشحم ، تعتمد هي الى الدهن الحيواني فتغليه بالماء ، ثم تأتي بذبالة من خيوط القطن المفتولة ، وتغمسها بالدهن الطافي على وجه الماء ، ثم لا تلبث أن تنزعها منه حتى تتصلب طبقة الدهن التي علقّت بالذبالة . وتعيد الكرة مرة أخرى بل مرارا ، فتغمسها لتعقب بها طبقة فوق طبقة . وترفعها في كل مرة لتقسو وتتصلب . وهكذا حتى يصبح لديها شمعة حمية مستدقة الطرف . أما بعض ربات البيوت فكن . في حال عدم توفر الدهون الحيوانية . يعتمدن الى الشمار

الشمعية لبعض الشجيرات البرية التي تنمو بنوع خاص على سواحل ولاية نيوانجلاند ، كالشجيرة الشمعية العطرية الأمريكية - Wax Myrtle ، والنخل الشمعي - Wax Palm ، والتوت الشمعي - Wax Berry ، وله ثمار مكسوة بطبقة شمعية ذات لون رمادي أخضر تفوح منها رائحة زكية نفاذة . فتجمع هذه الثمار وتوضع في ماء يغلي ، وسرعان ما تذوب المادة الشمعية وتطفو على سطح الماء . عندها تبادر المرأة الى كشط الشمع وتدعه يبرد . وبعد ذلك تذيبه مرة ثانية لتتقيته من الشوائب ، استعداداً لصنع شموعها المعطرة منه . وهذه الطريقة البطيئة هي من الصعوبة بمكان ، ففضلا عما تلاقيه المرأة من مشقة في جمع الثمار واذابة شمعتها ، نجدها تحتاج الى ما لا يقل عن نصف غالون من الثمار الشمعية لصنع شمعة نحيلة لا يتجاوز طولها عشر بوصات . وبالرغم من استعمال

بعد انحار عملية الغمس تركت الشموع لتتصلب تمهيدا لصقلها وتميئتها في صناديق استعداد لشحنها الى الأسواق .



الدهون الحيوانية والثمار الشمعية في صناعة شموع الانارة : فان الشموع المصنوعة من شمع النحل كانت ولا تزال أكثر أنواع الشمع شيوعا وذلك لجودتها وندرتها ، كما كانت أغلى ثمنا من غيرها باعتبارها جوهرة الشموع .

ولما أصبحت المادة الشمعية المستخلصة من النحل والحيوانات والنباتات لا تسد الحاجة المتزايدة اليها ، وجه الانسان أنظاره الى البترول الذي اكتشف في أواسط القرن التاسع عشر كمصدر جديد لصناعة شموع الانارة . وللعديد من الصناعات الأخرى . فالمعروف أن الزيت الخام يتكون من مركبات هيدروكربونية من بينها المجموعة البرافينية (الشمعية) . وهي تتميز بتركيب بلوري غليظ ، وتتكون بصورة رئيسية من برافينات نظامية . بالإضافة الى بعض البرافينات المتماكبة والبرافينات الحلقية . وقد كان لوسائل التقطير ، وما طرأ

عليها من تحسينات عبر السنين ، دور فعال في الحصول على كميات هائلة من الشمع . علاوة على المنتجات الأخرى ذات الأساس الزيتي . والتقطير في أبسط مظاهره يتم في برج التقطير حيث يجري فصل مركبات الزيت الخام بعضها عن بعض عن طريق التسخين ، ثم التبخر . ثم التكثيف لإعادة المركبات المختلفة الى حالة السيولة . ولما كانت درجة غليان الشموع البرافينية ومقطرات زيوت التشحيم الخفيفة واحدة تقريبا ، لذا يتعذر فصلها بالتقطير . بيد أن كيميائيي البترول لم يعدوا وسيلة لفصل هاتين المادتين ، الشموع البرافينية وزيوت التشحيم الخفيفة ، فعمدوا الى تبريدهما على درجة حرارة معينة يتم فيها تصلب الشموع البرافينية ، وبقاء مواد التزيت الخفيفة في حالة السيولة ، وعندها يصبح في الامكان فصلهما عن بعضهما البعض . وعلى مقدار اتقان

عملية تكرير المنتجات البرافينية يصبح في الامكان استخلاص صنفين منها ، أحدهما الشموع البرافينية المكررة تكريرا كاملا - Fully Refined Wax وتكون في العادة بيضاء صلبة ، خالصة في جوهرها لا رائحة لها ولا طعم ، وتحتوي على نسبة من الزيت لا تزيد على ٥% في المائة بالوزن ، والآخر «الشمع الحرشفي» (القشري) - Scale Wax وهو أكثر لدانة من سابقه ، ويحوي نسبة من الزيت تصل أحيانا الى ٣ في المائة بالوزن . أما تفضيل صنف على آخر فيتوقف بالدرجة الأولى على كيفية استخدام الشمع ، والمنتجات التي يتوخاها العاملون في صناعة الشموع . فعلى سبيل المثال ، تستخدم الشموع البرافينية المكررة تكريرا كاملا في صنع الطبقة الخارجية لشموع الانارة العديمة التقطر «Dripless» لأن درجة انصهارها عالية . ولذا تقوم هذه الطبقة الشمعية الصلبة كحاجز

تتفحص هذه العاملة الشموع المقولبة بعناية فائقة قبل غمسها في أصباغ التجميل .







- ١ - في المناسبات الخاصة تصنع من الشمع حاجات كثيرة من بينها « رجل الثلج » المصنوع من الشمع المخفوق والمزخرف باليد بدهان زيتي الأساس .
- ٢ - لمسات فنية بارعة تتعرض لها الشموع الخاصة قبل مغادرتها المصنع .
- ٣ - سمات الفن القديم يبرزها الفنان على بعض الشموع التي تستعمل في مناسبات خاصة .

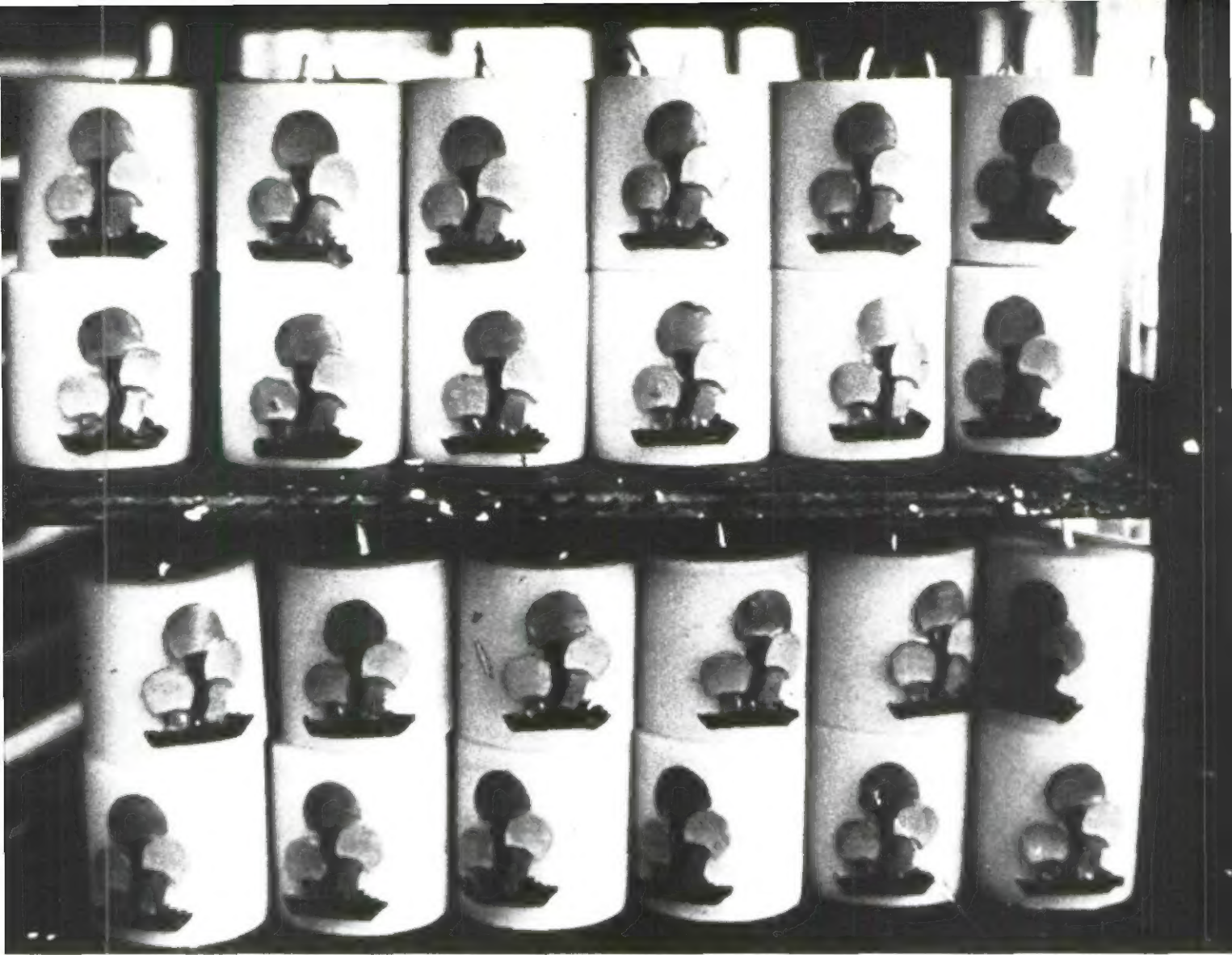
تصوير : « أورد صن »

ولئن اختلفت مصانع شموع الانارة في انتاج أصناف متنوعة متفاوتة في الجودة والرائحة واللون الا أنها تستخدم طريقة واحدة في صنع الشموع . فهناك بعض المصانع التي تنتج نحو من ٢٦ صنفا من شموع الانارة ، ينبعث من كل صنف منها لدى الاحتراق شذى معين يختلف باختلاف المواد المضافة الى الشمع المكونة في الغالب من خلاصات الأزهار والفواكه . فهذه شمعة تعبق المكان برائحة الليمون ، وتلك تفوح برائحة الورد ، وأخرى برائحة الكرز أو جوز الهند ، وهلم جرا .

وعملية تصنيع شموع الانارة تتم الآن بطريقة تلقائية جزئيا ، اذ تدخل اليد العاملة الماهرة في بعض مراحلها . ففي المصنع يشاهد المرء عددا من الدواليب الضخمة يبلغ قطر الواحد

لشحن المادة الشمعية من معامل التكرير الى مصانع شموع الانارة فيتم اما مذابا في سيارات صهرية خاصة مزودة كل منها بسخانة تحت الصهرية ، أو صلبا على شكل ألواح زنة الواحد منها نحو خمسة كيلوغرامات . ويفضل الكثير من أصحاب مصانع شموع الانارة استقبال الشمع مذابا لأنه يوفر عليهم مرحلة مهمة باهظة التكاليف ضمن مراحل عملية صنع الشموع ، لذلك تتم اسالة الشمع المذاب من سيارات الصهرية بأنابيب خاصة ثم تضاف الى السائل الشمعي مواد كيميائية تتطلبها عملية صنع الشموع المتنوعة ، ثم يضخ المزيج مباشرة في القوالب أو الأوعية الضخمة التي تستخدم لصنع الشموع باليد عن طريق الغمس .

حول لب الشمعة المصنوع من الشمع اللين السريع الاحتراق ، فيمنع تقطره خارج الشمعة . ويمكن القول بصورة عامة ان الشموع البترولية الخالصة المستخدمة في صنع شموع الانارة لدنة ومرونة وقابلة للتكيف . وقد اكتشف صانعو الشموع طريقة لعلاج هذه اللدانة ، وذلك باضافة « الحامض الاستياري - Stearic Acid » الى عجينة الشمع بغية تقسيته « Hardening » . وهذا الحامض عبارة عن مادة صلبة عديمة اللون والرائحة تستخلص من بعض الدهون الحيوانية والنباتية ، وهي المادة ذاتها التي كانت ربات البيوت تستعملها قديما في صنع الشموع . وللحصول على أصناف عديدة من الشموع ذات أغراض واستعمالات متعددة ، وتمزج هذه المادة بالشمع بنسب معينة .



مجموعة من الشموع ، المزدانة بزخارف ورسومات بديعة قام بعملها فنانون بارعون ، تنتظر تعبئتها في صناديق لشحنها الى الأسواق .

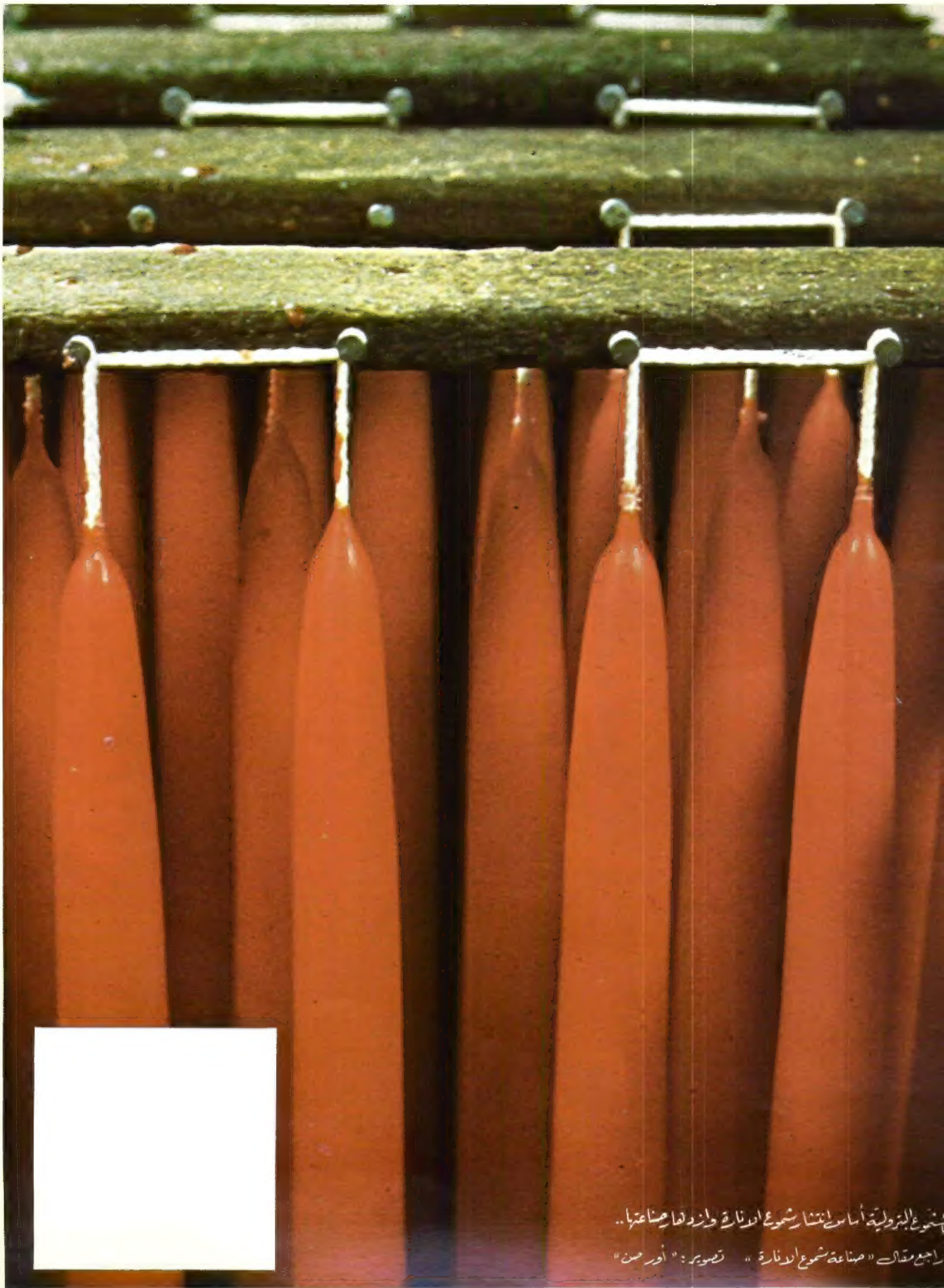
الصناعة . فالأصباغ بما تضيفه على الشمعة من ظلال محببه وقيم جمالية رفيعة يعالجها فنانون مختصون لتخرج الشمعة في شكل بهي جذاب . كما يقوم هؤلاء الفنانون بتزيين الشموع برسومات وزخارف بديعة تعكس عراقة القديم وأصالة الحديث ، مما يجعل الاقبال على شرائها شديدا . ومع أن كثيرا من الصناعات تتم الآن بطريقة تلقائية متكاملة ، الا أن القائمين على صناعة شموع الانارة ينزعون الى المحافظة على التقاليد القديمة عن طريق ابقاء اليد البشرية في هذه الصناعة عاملا بارزا ، سيما وأن الشموع لا تستعمل في انارة المنازل كما كانت عليه الحال في الماضي ، وانما غدت تستعمل على نطاق واسع في أعمال الاضاءة الخفيفة ، خاصة في صالات الطعام ، وفي أغراض الزينة المختلفة ■

سليمان خورشيد

عن مجلة «أور صن»

أنيقة ، استعدادا لشحنها الى الأسواق . كما تصنع بعض الشموع بطريقة القولية ، وخاصة الكبيرة منها التي تستعمل في مناسبات خاصة . ففي الماضي ، عندما كان استعمال الآلة محدودا وعلى نطاق ضيق ، كان صانعو الشموع يصبون الشمع الذائب في قوالب خشبية ثم يتركونها لتتصلب تدريجيا . غير أن الانسان فيما بعد لم يلبث أن استعمل قوالب مصنوعة من القصدير الخالص لسرعة برودتها ومقاومتها للتآكل ، وقدرتها العالية على التلميع ، وسهولة اعادتها سبكها . كما ومن ميزات هذه القوالب القصديرية أنها توضع في صوان مملوء بالماء البارد ، الأمر الذي يساعد على تصلب الشمع وتقسيته بسرعة وفي مدة أقصر من ذي قبل . هذا ولا يقتصر صنع الشموع على مجرد قولبتها وسبكها لانتاج كميات هائلة منها بل يدخل الفن التشكيلي بأبعاده في صلب هذه

منها ١٦ قدما ، تدور بحركة أفقية، ومثبت على كل دولاب ١٦ اطارا ، يتبدل من كل واحد منها خيوط من الفتيل تكفي لصنع ٧٢ شمعة . وتدور الدواليب بسرعة محدودة يستطيع الشماع «Dipper» عندها نزع كل مجموعة من الاطارات التي تمر بمحطته أثناء دوران الدولاب ، ثم غمرها بالشمع الذائب في وعاء مسطح كبير «Vat» لتكتسي الفتائل بطبقة من الشمع ثم اعادتها الى الدولاب ليستقبل المجموعة الثانية من الأطر عندما تصبح في متناول يده . وتتطلب الشمعة الواحدة ٤٠ غمسة في الشمع الذائب لتغدو في الحجم المطلوب . ولتقسية كل طبقة جديدة من الشمع تستخدم مراوح كهربائية مثبتة فوق الدواليب . ويبلغ مقدار ما ينتجه الشماع من الدولاب الواحد في ساعتين ٩٦ دسنة يجري فحصها بعناية ثم تصقل وتلمع باليد ، وتلف بورق «السلوفان» وتوضع في صناديق



شموع البرولية أساسية انتشار شموع ادرناة وازد قمار صناعتها..
راجع مقال "صناعة شموع ادرناة" تصوير: "أورسن"

